الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف – المسيلة

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

الرقم التسلسلي /2026

الأسرى العرب خلال الحرب العالمية الأولى (1914/1918م).

مذكرة مكملة لنيل شهادة المساتر تخصص **تاريخ الوطن العربي المعاصر**

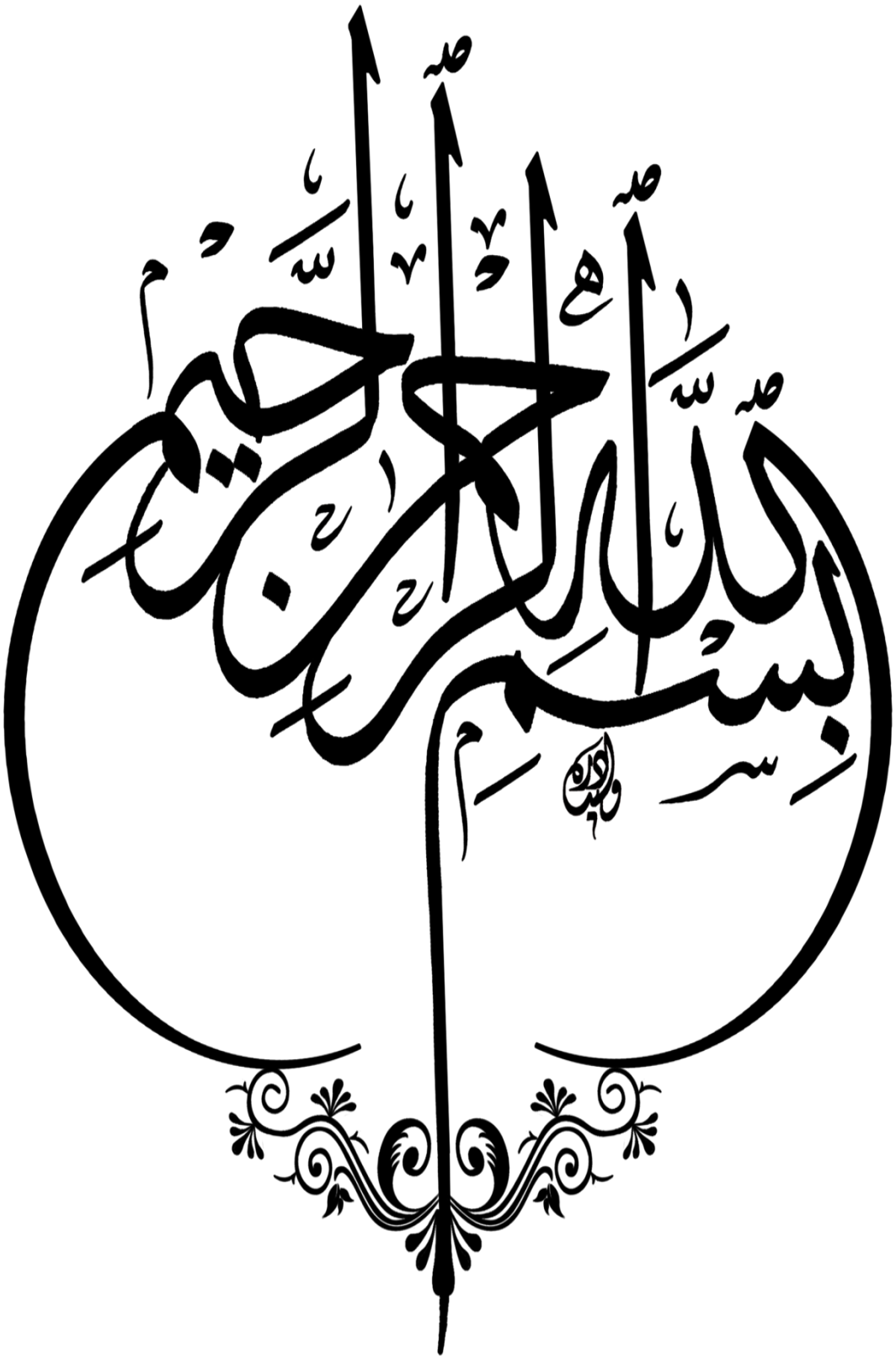
إعداد الطالب: **إشراف الدكتور:**

دهوم منصف الياس **د. صالح لميش**

لجنة المناقشة

الاسم و اللقب	الرتبة العلمية	المؤسسة الجامعية	الصفة
أ.د. محمد يعيش	دكتور	جامعة المسيلة	رئيسا
د. صالح لميش	دكتور	جامعة المسيلة	مشرفا ومقررا
د. سميحة دري	دكتور	جامعة المسيلة	مناقشا

السنة الجامعية 2026/2025 1448/1447 هـ


بسم الله الرحمن الرحيم

الشكر و التقدير:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾

[—سورة المجادلة، الآية: 11]

الحمد لله الذي جاد علينا بجميل توفيقه، وأنار بفيض جوده مَعالم الطريق، الحمد لله الذي بنعمته تساقطت غيوم التعب لتُنبت سنابل هذا الإنجاز، وبفضله سبحانه وطئنا عتبات الختام، وتوّجنا مسيرة الجهد بتمام هذه المذكرة. والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، الذي حمل لواء العلم والمعرفة فأنار به عقول البشرية.

أما بعد،

فإنّ من أوجب واجبات الوفاء، وأنبل شيم العرفان، أن أرفع أسمى آيات الشكر والثناء لكل من كان قبساً من نور يُستضاء به في عتمات البحث ومسالك العلم.

وفي مقام العرفان هذا، يطيب لي أن أتقدّم ببالغ التقدير وجزيل الامتنان إلى أستاذي الفاضل ومشرفي القدير "لميش صالح"، الذي كان لي طيلة هذه الرحلة نِعمَ الموجّه والسند، وغمرني بفيض علمه وسديد نصحه، وصبر معي بصدر رَحب حتى استوى هذا العمل على سوقه، فجزاه الله عني وعن العلم خير ما يُجزى به العلماء المخلصون.

كما يتلعثم الحرف خجلاً، وتقف الكلمات إجلالاً وتكبيراً لتُحيي السادة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة الموقرين، الذين تشرّف بحثي بامتثالهِ بين أيديهم، والذين تجشّموا عناء القراءة والتقويم، لتكتمل بهذا المرور الأكاديمي البهيّ ملامحُ هذا البحث وينبض بالحياة.

ويمتدّ شذا الشكر والامتنان، عاطراً نديّاً، ليتوجّه إلى جميع الأساتذة الأفاضل الذين تعهّدوا غرسي منذ خطوتي الأولى في رحاب الجامعة، فأناروا فكري، وصقلوا معرفتي، وكانوا بحقّ منارات هدىً لم تبخل يوماً بعطاء.

إلى كل هؤلاء الذين صنعوا بجميل صنيعهم هذا الأثر، أرفع باقات الاحترام والتقدير والدعاء، سائلًا المولى عز وجل أن يجعل علمهم نافعاً، ورسالتهم خالدة، وسعيهم مشكوراً.

الإهداء

﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾

]سورة التوبة، الآية: 105[

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات،

والذي وفقنا وأعاننا على اجتياز هذه المرحلة الدراسية.

إلى من كانت دعواتهم رفيقة دربي، وسندهم زادي في كل لحظة صعبة،

إلى أولئك الذين كانوا النور حين أظلم الطريق، واليد التي امتدت كلما تعثرت،

أهدي هذا العمل المتواضع لأغلى القلوب، التي ما بخلت بعطاء أو كلمة طيبة،

إلى أمي وأبي العزيزين، شكراً لكم على كل شيء وعلى دعواتكم التي كانت معي دائماً.

إلى جدتي الغالية، حفظها الله وأطال في عمرها ومنّ عليها بالصحة والعافية.

وإنعاماً لقوله صلى الله عليه وسلم "لا يشكر الله من لا يشكر الناس"،

أتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى أستاذي المشرف القدير "لميش صالح" على مساعدته لي وتوجيهاته القيمة طوال فترة إعداد المذكرة.

كما أشكر الأستاذ "اوعيل خالد" شكراً خاصاً على وقوفه معي ومساعدته الكبيرة لي في إنتاج وإخراج هذا العمل.

وإلى جميع الأساتذة الأفاضل الذين ساعدوني وعلموني من بداية مشواري الدراسي.

هذا الإنجاز ليس لي وحدي، بل لكم جميعاً.

أهديكم ثمرة الجهد عربون محبة وامتنان.

جزاكم الله خير الجزاء، ورزقكم سعادة لا تزول.

والحمد لله على ما أنعم وأكرم، وعلى حسن الختام

فهرس المحتويات

الشكر و التقدير

الإهداء

فهرس المحتويات

مقدمة .....أ

الفصل التمهيدي :

الظروف الجيوسياسية العالمية قبل الحرب العالمية الأولى

تمهيد 5

المبحث الأول : جغرافية الدول المتحاربة 7

أولا: الكتلة الجغرافية لدول الوسط (ألمانيا والنمسا–المجر) 8

ثانيا: جغرافية دول الوفاق (بريطانيا، فرنسا، روسيا) 9

رابعاً: البلقان :.....11

خامساً: جغرافية الدولة العثمانية 13

سادسا : دول أخرى انضمت الى الحرب العالمية الأولى : 16

المبحث الثاني : الأوضاع السياسية في اوربا قبل الحرب 19

أولا : انقسام أوروبا إلى معسكرين: 19

ثانيا: تغير موازين القوى : 20

ثالثا : التسابق الصناعي والاقتصادي.....21

رابعا: التنافس الاستعماري 21

خامسا: السباق نحو التسلح 22

سادسا : السباق البحري 23

سابعا: صعود القوميات 24

احدى عشر: الأزمات الدولية في أوروبا 26

اثنا عشر: الأزمات الدبلوماسية.....27

المبحث الثالث: الواقع السياسي للعالم العربي قبيل الحرب العالمية الأولى: 29

أولا: الانقسام الجيوسياسي: بين الحكم العثماني والهيمنة الأوروبية 29

ثانيا: ضعف المركز العثماني وتداعياته على الولايات العربية 30

ثالثا: واقع الحكم في المشرق العربي: تفاعلات الشام والعراق والجزيرة 31

رابعا: سياسة التتريك والمركزية العثمانية: 32
خامسا : صعود ونمو الوعي القومي العربي: 32
سادسا: المؤتمر العربي الأول في باريس (1913): 33
سابعا: واقع الحكم في المغرب العربي: 34
ثامنا: القيادات التقليدية وتعدد الولاءات السياسية في الجزيرة العربية والخليج 35
تاسعا: التنافس الأوروبي على المنطقة العربية: صراع سايكس–بيكو 36
الفصل الأول : 5
اندلاع الحرب العالمية الأولى وبداية المواجهة 5
تمهيد: 34
المبحث الأول: دوافع اندلاع الحرب 36
أولا: نظام الأحلاف العسكرية 36
ثانيا: التنافس الاستعماري والاقتصادي بين الدول الكبرى 38
ثالثا: أهمية المنطقة العربية في حسابات الدول الأوروبية 39
رابعا : السباق نحو التسلح 40
خامسا : أزمات البلقان وتراجع الدولة العثمانية 41
سادسا: السبب المباشر للحرب (حادثة سراييفو) 42
المبحث الثاني: سير المعارك وبناء التحالفات 44
أولا : جبهات القتال الرئيسية في القارة الأوروبية 44
ثانيا : مسرح عمليات الشرق الأوسط وتأثيره في الجغرافيا العربية 47
ثالثا: ديناميكية التحالفات الدولية ونقطة التحول الحاسمة 50
المبحث الثالث: مشاركة العرب ميدانياً في معارك الحرب العالمية الأولى 54
أولا: الضباط والجنود العرب في صفوف الجيش العثماني 54
ثانيا: الفعالية الميدانية لقوات الثورة العربية الكبرى(1916–1918) 56
ثالثا : التجنيد القسري في المغرب العربي ومعارك الجبهة الغربية 59

الفصل الثاني:

الجنود العرب في الأسر بين الألم والأمل

تمهيد: 51
المبحث الأول: توزيع الأسرى العرب في معسكرات الاعتقال 53

أولا : معسكرات الأسرى العرب في الجيش العثماني (تحت إدارة الحلفاء وروسيا) 53
ثالثا : جهود التوثيق وتتبع الأسرى (اللجنة الدولية للصليب الأحمر) 56
المبحث الثاني: ظروف المعتقلين (الحياة اليومية، المعاملة، المعاناة) 57
أولا: الواقع المادي والمعيشي للأسرى: 57
ثالثا: التأطير الحقوقي والقانوني: 62
أولاً: فجوة التشريع الدولي المكتوب: 63
ثانياً: فجوة معايير الرعاية الصحية: 63
ثالثاً: فجوة التقييد المكاني : 64
رابعا :فجوة التمييز العرقي: 64
خامسا : فجوة التأهيل النفسي : 64
المبحث الثالث: الأمل في التحرير والانعتاق 66
أولا : رسائل الأسرى ودورها في تعز 66
ثالثا : أثر الثورة العربية الكبرى في تحرير الأسرى وتغيير مصيرهم 68
رابعا: التسهيلات الدينية في معسكر الهلال بألمانيا وأهدافها السياسية 69
خامسا : مقارنة بين الحقوق النظرية والواقع الفعلي للأسرى 70

الفصل الثالث :

انعكاسات الحرب على الأسرى وعلى أوطانهم

تمهيد: 69
المبحث الأول: الآثار الجسدية والنفسية على المحرَّرين 71
أولا : الاثار الجسدية : الضعف الشديد، الجوع، وتفشي الأوبئة 71
ثانيا: الاثار النفسية : 73
ثالثا: صدمة العودة: 74
المبحث الثاني: الخسائر البشرية في الأوطان العربية خلال الحرب 71
أولا: ضحايا جيوش الوفاق 71
ثانيا : ضحايا جيوش الوسط 72
ثالثا : ضحايا الدولة العثمانية 73
رابعا: المعطوبون والمشوهون بعد الحرب 74

المبحث الثالث: دور الأسرى العرب في بناء الفكر التحرري 76
أولا : الجماعي الوعي 76
ثانيا :التنظيم والثورات..... 77
ثالثا: الخطاب التحرري 78
خاتمة..... 78
قائمة المراجع
ملخص


مقدمة

تعد الحرب العالمية الأولى (1914–1918م) أحد المنعطفات التاريخية الأكثر خطورة في صياغة العالم المعاصر وتحديد خرائطه الجيوسياسية، وهي الحرب التي لم تكتفِ بهز أركان القارة الأوروبية فحسب، بل امتدت شظاياها لتهز بعنف البنى الاجتماعية والسياسية والاقتصادية للمجتمعات العربية.

لقد وجدت هذه المجتمعات نفسها، وتحت وطأة السيطرة الإمبراطورية المباشرة أو التبعية السياسية، مقحمة في صراع كوني لا يعكس تطلعاتها ولا يخدم مصالحها القومية؛ بل سِيق أبناؤها قسراً عبر آليات التجنيد الإجباري التعسفي ليكونوا حطاباً في محرقة تدار خلف البحار. وبينما ركزت الأدبيات التاريخية الكلاسيكية لعقود طويلة على تتبع المسارات الدبلوماسية المعقدة، والتحالفات السرية، والتحركات العسكرية الميدانية للجيوش الإمبراطورية، ظل التاريخ الاجتماعي والإنساني والذاكراتي لهذه الحرب حقلاً خصباً يحتاج إلى مزيد من النبش الأكاديمي، وفي مقدمة تلك الحلقات المغيبة تأتي تجربة "الأسرى العرب" الذين طواهم النسيان في سجلات الأرشيفات الكولونيالية.

لقد أسفرت عمليات الشحن البشري المنظم عن ترحيل مئات الآلاف من الشباب والمجندين العرب من مختلف حواضر وفيافي المشرق والمغرب العربي نحو جبهات القتال المستعرة في عمق أوروبا، والبلقان، وجبهات الشرق الأدنى. ومن رحم هذه المعارك الدامية، وقع آلاف المقاتلين العرب في غياهب الأسر داخل معسكرات القوى العظمى المتصارعة؛ حيث عُزلوا في مراكز احتجاز نائية كالمعسكرات الألمانية والبريطانية والفرنسية. إن هذه التجربة الإنسانية المريرة لم تكن مجرد مأساة فيزيولوجية انحصرت في مقايضة الحرية بالبقاء، أو مجرد عزل عسكري فرضته ظروف الميدان، بل تحولت بفعل الاحتكاك اليومي المباشر خلف الأسلاك الشائكة، والتلامس مع التيارات الفكرية والأيديولوجية العالمية الناشئة، إلى مختبر فكري وسيكولوجي عميق أعاد صياغة عقلية

الإنسان العربي، ونقل وعيه الذاتي من حالة الانكسار الفردي الصامت إلى حالة التبلور الجماعي المقاوم.

لقد شكل الأسرى العرب بعد الحرب العالمية الأولى إحدى الفئات المفصلية التي أسهمت بشكل جوهري في بلورة وتشكيل الفكر التحرري العربي المعاصر؛ فهم لم يعودوا إلى أوطانهم بعد توقيع هدنة عام 1918 باعتبارهم مجرد ضحايا سلبيين طحنتهم الآلة الحربية، بل عادوا كشهود عيان واعين على مظاهر القمع البيروقراطي، والتجنيد القسري، والحرمان الممنهج التي ميزت الممارسة الكولونيالية خلال الحرب. ومن هذا المنطلق، تحولت عذاباتهم الطويلة داخل المعتقلات الدولية من مجرد تجارب شخصية معزولة إلى رصيد رمزي وسياسي بالغ الأهمية استُثمر في تعميق الوعي الوطني؛ إذ بدأت مجتمعاتهم المحلية تقرأ هذه المعاناة وتستوعبها باعتبارها جزءاً لا يتجزأ من المأساة الجماعية الكبرى التي تعيشها الشعوب الرازحة تحت نير الهيمنة الأجنبية.

وهكذا، أسهمت شهادات الأسرى العائدين، ورواياتهم الشفوية المنقولة في الفضاءات الشعبية كالمقاهي والمساجد والقرى، إلى جانب مذكراتهم ومواقفهم الصلبة بعد التحرر، في إحداث نقلة نوعية في مسار النضال الوطني، حيث نُقلت فكرة المقاومة الشعبية من مستوى الشعور العفوي بالظلم والاضطهاد، إلى مستوى المطالبة السياسية المنظمة بالحقوق المشروعة، والمساواة المدنية والتنظيم الثوري، والمطالبة الصريحة بحق تقرير المصير الشامل. لقد نجحت هذه التجربة الفريدة في ربط الذاكرة الحربية الجمعية بالحركات الوطنية والرموز الإصلاحية الناشئة في تلك المرحلة؛ فغدا الأسرى العرب المحررون أحد أهم الروافد الحية التي غذت الخطاب التحرري وأعطته شرعيته الأخلاقية والتاريخية، مسهمين بفعالية في تهيئة الأرضية الفكرية والسياسية اللازمة لرفض ومقاومة المشاريع الاستعمارية والانتدابية في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الأولى.

أسباب اختيار الموضوع: لقد تضافرت عدة أسباب لاختيار الموضوع من أهمها:

الأسباب الذاتية:

رغبتي في دراسة موضوع جديد لم يتطرق له في المجال الدراسي في قسمنا.

الميول الشخصي لدراسة موضوع من حركات التحرر في العالم العربي.

الرغبة في معرفة الأوضاع والظروف التي أدت الى اسر العرب داخل المعسكرات الغربية .

الأسباب الموضوعية:

قلة الدراسات العلمية المتخصصة التي تتناول هذا الموضوع.

أن هذا الموضوع يعتبر حلقة من حلقات البحث في التاريخ المعاصر.

محاولة تسليط الضوء على دور الاسرى العرب في بناء الفكر التحرري .

أهداف البحث: وتكمن الأهداف التي نصبوا للوصول إليها فيما يلي:

الرغبة في تقديم عمل جديد ذو أهمية في مجال البحوث التاريخية المعاصرة.

محاولة إثراء المكتبة الجامعية المحلية والوطنية بمعلومات حول السر العرب .

التعرف على الاسرى العرب و ما مرو به من ظروف تحت الاسر.

الإسهام في تدوين وكتابة تاريخ الاسر العرب ، وإبراز القيمة التاريخية لهذا الموضوع.

الإشكالية:

و تتمحور الإشكالية الأساسية لموضوع مذكرتي حول عدة نقاط مهمة مرتبطة ب موضوع الاسرى العرب خلال الحرب العالمية الأولى 1914–1918 , يمكن ان نبسطها كالاتي :

- كيف ساهم المجندون العرب في الحرب العالمية الأولى ؟

–الأسئلة الفرعية :

- –كيف تم التعامل معهم تحت الاسر و ماهي ظروفهم داخل معسكرات الاسر ؟
- هل كتبت لهم العودة لأوطانهم ؟ و ما هي انعكاسات ذلك ؟

و للإجابة على هذه الإشكالية قمت ب تقسيم الموضوع الى فصل تمهيدي اول إضافة الى ثلاث فصل اخرى و لكل فصل ثلاث مباحث :

الفصل التمهيدي : الظروف الجيوسياسية العالمية قبيل الحرب الكونية الأولى

يتناول هذا الفصل الأرضية التاريخية والجغرافية للعالم والمنطقة العربية قبل انفجار الحرب عام 1914، ليفهم القارئ كيف كانت تُدار القوى مسبقاً.

- المبحث الأول (جغرافية الدول المتحاربة): تناول خريطة العالم السياسية في ذلك الوقت، وحدد مواقع الدول الكبرى ومساحات نفوذها ومستعمراتها، وكيف انقسمت إلى معسكرين (الحلفاء والمحور).
- المبحث الثاني (الأوضاع السياسية في أوروبا قبيل الحرب): ركز على الأزمات الدبلوماسية الدّاخلية بين القوى الأوروبية، والسباق المحموم نحو التسلح وبناء الأحلاف السرية التي جعلت القارة عجلةً قابلة للانفجار.
- المبحث الثالث (الواقع السياسي للعالم العربي قبيل الحرب): شرح وضع المنطقة العربية التي كانت تعيش تشتتاً سياسياً؛ حيث كان المشرق تحت السيطرة العثمانية،

بينما كان المغرب العربي (خاصة الجزائر وتونس والمغرب) يرزح تحت الاحتلال الفرنسي.

الفصل الأول : اندلاع الحرب العالمية الأولى وبداية المواجهة

يتتبع هذا الفصل قصة بداية المعارك الفعليّة، وكيف تحول النزاع إلى حرب شاملة

- المبحث الأول (دوافع اندلاع الحرب): استعرض الأسباب المباشرة وغير المباشرة للاشتعال، وعلى رأسها أزمة اغتيال ولي عهد النمسا بـــ "سراييفو"، ورغبة الإمبراطوريات في التوسع.
- المبحث الثاني (سير المعارك وبناء التحالفات): تتبع خط سير الحرب على الجبهات المختلفة (الشرقية والغربية)، وكيفية إدارة المعارك الكبرى وتطور الاتفاقيات بين الدول مع استمرار القتال.
- المبحث الثالث (دخول العرب ميدان المعارك): وثق كيف أُقحم العرب في الحرب ؛ إما عبر "السفربرلك" والتجنيد مع العثمانيين، أو من خلال فرض التجنيد الإجباري التعسفي على شباب الجزائر والمغرب العربي ومصر في صفوف جيوش فرنسا وبريطانيا.

الفصل الثاني: الجنود العرب في الأسر بين الألم والأمل

وهو الجزء الإنساني والاجتماعي الأعمق في البحث؛ حيث يدرس يوميات وتفاصيل حياة السجن والاعتقال التي عاشها المقاتلون العرب.

- المبحث الأول (توزيع الأسرى العرب بين معسكرات الاعتقال): تتبع مسارات نقل الأسرى العرب وتفريقهم عبر البحار إلى معسكرات نائية، خاصة في عمق ألمانيا (مثل معسكر "زوسن")، وبريطانيا، ومصر، والهند.

- المبحث الثاني (ظروف المعتقلين): نقل الصورة الحية والمؤلمة للحياة خلف الأسلاك الشائكة؛ حيث واجه الأسرى الجوع، ونقص الأغطية، وانتشار الأوبئة الفتاكة (كالتيفوس والإنفلونزا الإسبانية)، فضلاً عن القسوة والتمييز المعاملاتي.
- المبحث الثالث (الأمل في التحرير والانعتاق): درس الحالة النفسية للأسرى وتمسكهم بحلم الحرية، وكيف حاولت قوى كبرى (مثل ألمانيا) استغلال هذا الأمل عبر بروباغندا ودعاية دينية وسياسية ودودة لاستمالتهم ضد أعدائها.

الفصل الثالث : انعكاسات الحرب على الأسرى وعلى أوطانهم

يمثل الخلاصة والنتيجة التحليلية والسياسية للمذكرة، راصداً عواقب الحرب بعيدة المدى بعد عودة الأسرى عام 1918.

- المبحث الأول (الآثار الجسدية والنفسية على المحررين): رصد الأمراض المزمنة والإعاقات الجسدية، إلى جانب الصدمات النفسية والعصبية العميقة (صدمة القذائف) التي رافقت الأسرى وجعلت اندماجهم في المجتمع صعباً.
- المبحث الثاني (الخسائر البشرية للأوطان العربية خلال الحرب): قدم بلغة الإحصاء والأرقام الفاتورة البشرية والديموغرافية الفادحة التي دفعتها العائلات والبلدان العربية من شبابها في حرب لا ناقة لهم فيها ولا جمل.
- المبحث الثالث (دور الأسرى في بناء الفكر التحرري): حلل النتيجة الأهم؛ وهي كيف تحولت عذابات الأسرى والخبرات العسكرية والتنظيمية التي اكتسبوها إلى وقود للحركات الوطنية (مثل ثورة 1919 في مصر، وحركة الأمير خالد في الجزائر)، حيث صاغوا من آلامهم خطاباً سياسياً منظماً يطالب بالاستقلال والمساواة.

- **المنهج المتبع في الدراسة:**

- لتناول هذا الموضوع الذي يربط بين التاريخ العسكري العالمي والتاريخ الاجتماعي والفكري للأسرى العرب، اعتمدتُ على المنهج التاريخي كأداة رئيسية، ووظفتُ آلياته مع طبيعة الدراسة.:
- **المنهج التاريخي التحليلي:**
- لم أقف في دراستي عند حدود السرد والوصف، بل انتقلتُ إلى استنطاق المادة التاريخية وتحليل الوثائق والمذكرات المعاصرة للحدث. وتجلّى استخدامي لهذا المنهج في استعراض انعكاسات الحرب، حيث حللتُ الآثار النفسية والجسدية العميقة التي حملها الأسرى المحررون بعد عودتهم، وتتبعتُ بكثير من التحليل والنقد كيفية تحول تلك المأساة الإنسانية الصامتة إلى رافد فكري وميداني ساهم بشكل جوهري في بناء وتطور الفكر التحرري ومأسسة الحركات الوطنية المنظمة في العالم العربي.

المصادر و المراجع :

و حتى يتم إعطاء الموضوع قدره , تم الاعتماد على بعض المصادر و المراجع و كذلك بعض الدراسات السابقة التي تخص الموضوع نذكر منها على سبيل المثال :

مجموعة مؤلفين: مئة عام على الحرب العالمية الأولى: مقاربات عربية، المجلد الثاني: مجتمعات البلدان العربية: الأحوال والتحولات، الصادر عن المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات (الدوحة، 2016).

الحرب العالمية الأولى وأثرها في فلسطين: إرث مئة عام، الصادر عن مركز الجزيرة للدراسات (الدوحة، 2016).

لطيفة محمد سالم: مصر في الحرب العالمية الأولى، الصادر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة، 1984).

عمار بوحوش: التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، الصادر عن دار الغرب الإسلامي.(1997)

الدراسة الأكاديمية (الباحثة زيان رقية): "موقف الأمة العربية من الحرب العالمية الأولى

الصعوبات التي واجهتها في اعداد الموضوع :

نقص المصادر والمراجع العربية المتخصصة:

على الرغم من غزارة الكتابات التاريخية التي تناولت الجوانب العسكرية والدبلوماسية للحرب العالمية الأولى، إلا أنني وجدتُ ندرة واضحة وشحاً كبيراً في المراجع العربية التي أفردت حيزاً مستقلاً لدراسة التاريخ الاجتماعي والإنساني للأسرى العرب بالتحديد، وكيفية تبلور وعيهم السياسي بعد العودة.

تشتت المادة التاريخية وتضارب الإحصائيات:

عانيتُ كثيراً من مسألة تشتت المعلومات بين ثنايا الكتب، بالإضافة إلى التضارب الكبير في الأرقام والإحصاءات الرسمية المتعلقة بأعداد المجندين العرب والخسائر البشرية وتوزيع الأسرى بين المعسكرات الدولية، وهو ما فرض عليّ ضرورة إعمال منهج المقارنة والنقد والتحليل لمحاولة الوصول إلى الأرقام الأقرب للحقيقة التاريخية.

الفصل التمهيدي :

الظروف الجيوسياسية العالمية قبل الحرب العالمية الأولى

تمهيد

يقتضي التناول العلمي لظاهرة "الأسرى العرب" في الحرب العالمية الأولى عدم عزلها عن سياقها البنيوي الأشمل، والمتمثل في البيئة الجيوسياسية والعسكرية الدولية التي تشكلت في العقود القليلة التي سبقت انفجار الأزمة عام 1914م. فلم تكن الحرب الكونية الأولى مجرد صدام عسكري فجائي، بل كانت نتاجاً حتمياً لتراكمات معقدة وتقاطعات استراتيجية أعادت رسم العلاقات الدولية، وحوّلت الفضاءات الجغرافية والسياسية العالمية ـــــ بما فيها الفضاء العربي ـــــ إلى ركائز أساسية في رقعة الشطرنج الاستعمارية للقوى الإمبريالية المتنافسة. بناءً على هذه الرؤية المنهجية، يمثل هذا الفصل المدخل التأسيسي لـــتفكيك الخلفيات المكانية والسياسية التي أدت لاحقاً إلى زج العنصر البشري العربي في أتون هذا الصراع الشامل.

وتتصدر الجغرافيا السياسية والعسكرية (الجيوبولتيك) المشهد كعامل حاسم في توجيه دفة الصراع الاستراتيجي؛ إذ إن دراسة "جغرافية الدول المتحاربة" تفرض علينا تتبع الأبعاد المكانية والمنافذ البحرية والامتدادات الحيوية التي امتلكتها الكتل الدولية المتصارعة. فقد تميزت "دول الوسط" (الكتلة الألمانية–النمساوية) بتموقعها في قلب القارة الأوروبية، وهو ما منحها ميزة القيادة الداخلية السريعة عبر شبكات خطوط السكك الحديدية، غير أنه جعلها في الوقت ذاته عرضة لتهديد الحصار البحري الخانق. وفي المقابل، تميزت جغرافية حلفاء "الوفاق الثلاثي" بالامتداد الجهوي والعمق الاستراتيجي العابر للقارات بفعل الإمبراطورية البحرية البريطانية والاتساع الجغرافي الروسي القاسي، وهو ما خلق توازناً جيوسياسياً حرجاً جعل من الحرب القادمة حرب استنزاف للموارد والمجالات الحيوية بامتياز.

هذه البيئة الجغرافية كانت محكومة بـــ"أوضاع سياسية وأمنية أوروبية" بلغت ذروة تأزمها وتفككها قُبيل الحرب؛ حيث تحولت القارة العجوز إلى ترسانة بارود بفعل تداخل الأحلاف العسكرية السرية والعلنية، وتصاعد معضلات الأمن المشترك، وسباق التسلح البحري والبري المحموم بين بريطانيا وألمانيا. كما ساهمت النزاعات القومية المتفجرة في

منطقة البلقان ـــــ التي وُصفت بحق أنها "برميل بارود أوروبا" ـــــ في تقويض السلم الدولي، وجعل المنظومة السياسية الدولية هشة أمام أي هزة دبلوماسية، لتدخل القوى العظمى في حلقة مفرغة من الاستقطابات العسكرية التي جعلت الصراع المسلح خياراً لا مفر منه لإعادة اقتسام النفوذ العالمي.

ولم يكن "الواقع السياسي للعالم العربي" قُبيل الحرب بمعزل عن هذه الديناميكيات الدولية المتسارعة؛ بل كان يمثل أحد أهم محاور التنافس الإمبريالي ومسرحاً لمشاريع التقسيم المستقبلية. فقد كان المشرق العربي يرزح تحت وطأة تداعيات "المسألة الشرقية" وضعف الإمبراطورية العثمانية التي كانت تخوض رمقها الأخير وتواجه تيارات التحديث والمركزية التركية (الاتحاد والترقي)، مما خلق حالة من الغليان السياسي والوعي القومي الناشئ في ولايات الشام والعراق والحجاز. وفي الوقت نفسه، كان المغرب العربي والعمق المصري يخضعان لسيطرة استعمارية فرنسية وبريطانية مباشرة عملت على ربط المقدرات الاقتصادية والبشرية لهذه الأوطان بعجلة المجهود الحربي لعواصم المتروبول (باريس ولندن).

إن هذا التموقع الجغرافي والسياسي المعقد للعالم العربي، جعله هدفاً مباشراً لسياسات التعبئة العامة والتجنيد الإجباري التي فرضتها القوى المتحاربة على أبنائه فور اندلاع الشرارة الأولى للحرب. ومن هذا المنطلق، يسعى هذا الفصل، عبر مباحثه الثلاثة المتكاملة، إلى تقديم قراءة تحليلية معمقة في هذه الظروف الجيوسياسية العالمية، تدرجاً من رصد الخارطة الجغرافية للقوى المتحاربة، مروراً بتشخيص الأزمات السياسية في أوروبا، وصولاً إلى تفكيك البنية السياسية للعالم العربي التي حددت بدقة ملامح وسياقات سقوط أبنائه في الأسر لاحقاً.

المبحث الأول : جغرافية الدول المتحاربة .

شهد العالم في العقود الأربعة التي تلت المؤتمرات الأوروبية الكبرى (لاسيما مؤتمر برلين 1878م) إعادة تشكيل جذرية لخرائطه السياسية، حيث تداخلت الطموحات الاستعمارية القومية مع النزعات التوسعية للإمبراطوريات التقليدية. كان المشهد الجغرافي العالمي قبيل عام 1914م محكوماً بـــ"توازن رعب" حرج، تقسمت فيه الكرة الأرضية إلى مناطق نفوذ حصرية تسيطر عليها بضع عواصم أوروبية، مما جعل أي خلل في تضاريس هذا التوازن بمثابة نذير بانهيار السلم الدولي الصامت، وهو ما تجسد في تحول التنافس على الموارد والأسواق وممرات الملاحة العالمية إلى سباق محموم لتأمين العمق الجغرافي الحيوي لكل دولة.

وقد تجسدت هذه الديناميكية الجيوسياسية في صعود قوى صناعية جديدة سعت إلى تعديل الخارطة الجغرافية الاستعمارية التي كانت بريطانيا وفرنسا الاستعماريتان قد هيمنتا عليها تاريخياً. هذا التفاوت بين الطموح التوسعي المتنامي لقوى صاعدة وضيق الرقعة الجغرافية المتاحة للاستعمار خلف حالة من الاختناق الجيوسياسي داخل القارة الأوروبية، حيث باتت الحدود السياسية عاجزة عن استيعاب الطاقات الاقتصادية والديمغرافية المتفجرة، مما دفع القوى الكبرى لربط أمنها القومي بمدى قدرتها على التمدد وراء البحار أو قضم أراضي الإمبراطوريات الآيلة للسقوط.

وفي هذا السياق، لم تكن الأطماع الدولية بمعزل عن الجغرافيا الإقليمية للشرق الأوسط، التي كانت تشكل الحيز الجغرافي الأكثر حساسية في الإستراتيجيات العالمية؛ نظراً لتموقعها كعقدة مواصلات برية وبحرية تربط القارات الثلاث. وكان التآكل التدريجي للحدود الجغرافية للدولة العثمانية يسيل لعاب القوى المتحاربة، التي رأت في إعادة رسم جغرافية الأملاك العثمانية فرصة تاريخية لإعادة توزيع القوة على المستوى العالمي وتأمين خطوط الإمبراطوريات البحرية والبرية.

أولا: الكتلة الجغرافية لدول الوسط (ألمانيا والنمسا–المجر)

1.الإمبراطورية الألمانية:

احتل الكيان الجغرافي للإمبراطورية الألمانيةموقع الصدارة في التخطيط العسكري لوسط أوروبا. تميزت جغرافية ألمانيا بأنها كتلة برية متماسكة وصناعية ضخمة، إلا أنها واجهت نقطة ضعف جيواستراتيجية قاتلة عُرفت في أدبيات الجغرافيا السياسية الألمانية بمعضلة "التطويق "فقد كانت ألمانيا تقع في الممر الأوسط للقارة، محصورة بين كماشة برية فرنسية من الغرب، وروسية من الشرق، مع منفذ بحري ضيق وشبه مغلق على بحر الشمال وبحر البلطيق[1].

هذه الوضعية الجغرافية الحبيسة نسبياً دفعت هيئة الأركان الألمانية، بقيادة ألفرد فون شليفن، إلى صياغة خطة عسكرية برية هجومية تعتمد على كسر عامل الجغرافيا من خلال السرعة؛ واقتضت الخطة غزو فرنسا عبر تضاريس بلجيكا السهلية للالتفاف على التحصينات الجغرافية الفرنسية الطبيعية، قبل الارتداد سريعاً نحو الجبهة الشرقية لمواجهة الروس[2].

علاوة على ذلك، فإن الطموح الجغرافي الألماني لم يكتفِ بالعمق الأوروبي، بل سعى إلى اختراق الجغرافيا الآسيوية والشرق أوسطية عبر مشروع خط سكة حديد (برلين–بغداد)، وهو مشروع جيواستراتيجي هائل كان يهدف إلى ربط بحر الشمال بالخليج العربي برياً، وبالتالي الالتفاف على الهيمنة البحرية البريطانية المطلقة على الممرات المائية العالمية كقناة السويس ومضيق جبل طارق[3].

2.إمبراطورية النمسا–المجر:

[1] مجموعة مؤلفين، مئة عام على الحرب العالمية الأولى: مقاربات عربية، المجلد الأول: الأسباب والسياقات والتداعيات (الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2016)، ص 19-22

[2] المصدر نفسه، 23-25.

[3] احمد زكرياء ، تاريخ العرب الحديث من الفتح العثماني حتى نهاية الحرب العالمية الأولى (القاهرة: مكتبة العبيكان، 2014)،ص 210-215.

امتدت إمبراطورية النمسا–المجر (التاج المزدوج) فوق رقعة جغرافية شاسعة في وسط وأوروبا الشرقية ومنطقة حوض الدانوب، وتميزت هذه الجغرافيا بأنها امتداد قاري معقد يفتقر إلى التجانس الطبيعي والبشري. كانت الجغرافيا السياسية للنمسا–المجر محكومة بوجود قوميات وإثنيات متعددة ومتصارعة (ألمان، مجر، سلاف، رومانيين)، مما جعل حدودها البرية مصدراً لعدم الاستقرار الداخلي والجيوسياسي[1].

من الناحية الإستراتيجية، كانت النمسا–المجر تمتلك ساحلاً ضيقاً للغاية على البحر الأدرياتيكي (ميناء تريستي)، مما جعلها إمبراطورية برية بامتياز، تعتمد حياتها الاقتصادية والعسكرية على نهر الدانوب كشريان مواصلات رئيسي. كانت الخاصرة الجغرافية الرخوة للنمسا–المجر تكمن في تمددها جنوباً نحو منطقة البلقان، حيث أدى ضمها الجغرافي لولاية البوسنة والهرسك عام 1908م إلى اصطدامها المباشر بالكتلة الجغرافية الصربية المدعومة من روسيا القيصرية، مما جعل شبه جزيرة البلقان تُعرف في الجغرافيا التاريخية بـــ"برميل بارود أوروبا[2]."

ثانيا: جغرافية دول الوفاق (بريطانيا، فرنسا، روسيا)

.1الإمبراطورية البريطانية:

تمثلت العقدة الجيوسياسية المضادة لدول الوسط في الإمبراطورية البريطانية، التي كانت تمثل نموذجاً فريداً في الجغرافيا السياسية؛ فهي دولة جزرية في مركزها (الجزر البريطانية)، لكنها "إمبراطورية لا تغيب عنها الشمس" في امتدادها العالمي. منحت الجغرافيا الجزرية لبريطانيا حماية طبيعية مطلقة ضد الغزو البري، مما أتاح لها تركيز مواردها لتطوير أضخم قوة بحرية في التاريخ (الأسطول الملكي) لتأمين مستعمراتها الشاسعة في الهند، وإفريقيا، وأستراليا، وكندا[3].

[1] محمد الأرناؤوط، "الخلفية البلقانية لاندلاع الحرب العالمية الأولى"، ضمن: مجموعة مؤلفين، مئة عام على الحرب العالمية الأولى، المجلد الأول، 150-155.

[2] مرجع سابق،ص 156-162 .

[3] مجموعة مؤلفين، مئة عام على الحرب العالمية الأولى: مقاربات عربية، المجلد الأول: الأسباب والسياقات والتداعيات (الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2016)، 30-31

استندت الجيواستراتيجية البريطانية إلى التحكم الصارم بالمضائق والممرات البحرية الحاكمة في العالم. كانت بريطانيا تطبق نظرية "السيادة البحرية الثنائية وحين اندلعت الحرب، استغلت بريطانيا موقعها الجغرافي المهيمن لفرض حصار بحري خانق وشامل على دول الوسط في بحر الشمال، مما أدى إلى عزل ألمانيا والنمسا–المجر جغرافياً عن الأسواق والموارد العالمية، وهو ما تسبب على المدى الطويل في خنق الاقتصاد الحربي لدول الوسط[1].

.2الجمهورية الفرنسية:

تمتلك فرنسا جغرافية متميزة تجمع بين واجهتين بحريتين (المحيط الأطلسي والبحر الأبيض المتوسط) واتصال قاري مباشر بقلب أوروبا. كانت المشكلة الجغرافية الكبرى لفرنسا تكمن في حدودها الشرقية المكشوفة مع ألمانيا، لاسيما بعد فقدانها الجغرافي الإستراتيجي لإقليمي الألزاس واللورين عقب حرب 1870–1871م، مما جعل عاصمتها باريس قريبة نسبياً وخاضعة للتهديد العسكري الألماني المباشر[2].

ولتعويض هذا النقص في العمق الجغرافي البري الأوروبي، استندت فرنسا إلى عمقها الإمبراطوري في شمال وفضاء غرب إفريقيا (الجزائر، تونس، المغرب، والمستعمرات المدارية). تحول البحر الأبيض المتوسط في الإستراتيجية الفرنسية من حد مائي عازل إلى شريان مواصلات حيوي يُستخدم لنقل مئات الآلاف من الجنود والمجندين القسريين العمال من المستعمرات الإفريقية إلى الجبهة الداخلية لتعويض النقص الديمغرافي الفرنسي أمام الآلة الحربية الألمانية المتفوقة عدداً[3].

.3الإمبراطورية الروسية:

مثلت الإمبراطورية الروسية الكتلة الجغرافية الأضخم في العالم، حيث امتدت فوق مساحات هائلة تشمل شرق أوروبا وشمال آسيا وصولاً إلى المحيط الهادئ. كان هذا العمق الجغرافي

[1] المرجع السابق ، ص 35-36
[2] رشيد خشانة (تحرير)، الطريق إلى سايكس–بيكو: الحرب العالمية الأولى بعيون عربية (الدوحة: مركز الجزيرة للدراسات، 2016)، 13-16
[3] المرجع نفسه ,ص 18-20.

الشاسع (المدى السيبيري والسهوب الممتدة) يشكل خط الدفاع الطبيعي الأقوى لروسيا، إذ كان يمنحها قدرة غير محدودة على التراجع التكتيكي واستنزاف الجيوش الغازية، فضلاً عن خزان بشرى وديمغرافي هائل ومخيف لخصومها[1].

إلا أن هذه الجغرافيا العملاقة كانت تعاني من عيوب قاسية؛ منها رداءة شبكات المواصلات البرية والسكك الحديدية مقارنة بالشبكة الألمانية المتطورة، مما جعل عملية الحشد والتعبئة الروسية بطيئة للغاية وثقيلة الحركة[2] أما العيب الجيواستراتيجي القاتل لروسيا فكان "عقدة المنافذ البحرية"؛ فموانئها الشمالية والبلطيقية تجمدت معظم شهور السنة، وموانئها على المحيط الهادئ بعيدة جداً عن مسرح العمليات الأوروبي، بينما كانت موانئها على البحر الأسود تقع تحت رحمة الممرات المائية والمضائق التركية (الدردنيل والبوسفور)، مما جعل روسيا شبه معزولة جغرافيّاً عن حلفائها الغربيين (بريطانيا وفرنسا)[3] .

رابعاً: البلقان :

.1الفضاء البلقاني:

لم يكن من باب الصدفة التاريخية أن تنطلق الشرارة الأولى للحرب العالمية الأولى من سراييفو عاصمة البوسنة؛ فمنطقة شبه جزيرة البلقان تمثل نموذجاً حياً لكيفية صناعة الأزمات الدولية عبر تداخل التضاريس الجبلية الوعرة مع التوزع الإثني والقومي المعقد. كانت جغرافية البلقان تشهد صراعاً مريراً بين قوى إمبراطورية تتراجع حدودها (الدولة العثمانية)، وقوى إمبراطورية تسعى للتمدد جنوباً (النمسا–المجر)، وقوة إقليمية طموحة تسعى لجمع الشتات السلافي في كيان موحد (صربيا)[4] .

[1] مجموعة مؤلفين، مئة عام على الحرب العالمية الأولى: مقاربات عربية، المجلد الأول: الأسباب والسياقات والتداعيات (الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2016)،ص 50-52

[2] المرجع نفسه، ص 54-57.

[3] المرجع نفسه، ص 58-60

[4] محمد الأرناؤوط، "الخلفية البلقانية لاندلاع الحرب العالمية الأولى"، ضمن: مجموعة مؤلفين، مئة عام على الحرب العالمية الأولى، المجلد الأول،ص 163-170

وقد ساهمت الحروب البلقانية (1912–1913م) في إعادة رسم الخرائط السياسية للمنطقة، حيث أدت إلى تقليص الوجود الجغرافي العثماني في أوروبا إلى شريط ضيق في تراقيا الشرقية، وخلقت دولاً قومية فتيحة ومستثارة حدودياً مثل بلغاريا واليونان وألبانيا. هذا التفتت الجغرافي والسياسي حوّل البلقان إلى ساحة للتنافس الإستراتيجي بين روسيا ـــــ التي رأت في السيطرة على البلقان معبراً نحو تحقيق حلمها التاريخي بالوصول إلى المياه الدافئة ـــــ والنمسا التي اعتبرت الصعود القومي الصربي تهديداً وجودياً مباشراً لتماسك إمبراطوريتها المتعددة الأعراق[1].

.2المملكة الإيطالية:

شكل الموقع الجغرافي لشبه الجزيرة الإيطالية في قلب البحر الأبيض المتوسط محوراً بارزاً في الحسابات الإستراتيجية لمعسكري الحرب. كانت إيطاليا مرتبطة رسمياً بحلف دفاعي مع ألمانيا والنمسا–المجر (الحلف الثلاثي)، إلا أن اعتبارات الجغرافيا السياسية والاقتصادية جعلتها تختار الحياد عند اندلاع الحرب عام 1914م؛ نظراً لضعف طول سواحلها البحرية المكشوفة أمام التفوق المطلق للأسطولين البريطاني والفرنسي في المتوسط[2].

لكن هذا الحياد المؤقت تحول إلى مساومة جيوسياسية كبرى؛ إذ دخلت إيطاليا الحرب عام 1915م إلى جانب دول الوفاق بعد توقيع "معاهدة لندن السرية". كانت الدوافع الإيطالية جغرافية وتوسعية بامتياز، تلخصت في الرغبة في انتزاع الأراضي التي تسكنها أغلبيات إيطالية وخاضعة للسيادة النمساوية (مثل إقليم ترينتينو، ومدينة تريستي، وجزء من ساحل دالماتيا)، وتحويل البحر الأدرياتيكي إلى بحر إيطالي داخلي، فضلاً عن تأمين نفوذ جغرافي واستعماري لها في حوض البحر الأبيض المتوسط وشمال إفريقيا والمشرق العربي[3].

[1] المرجع السابق، ص 173-180.
[2] علي شعيب، "مصالح إيطاليا ودورها في الحرب العالمية الأولى"، ضمن: مجموعة مؤلفين، مئة عام على الحرب العالمية الأولى، المجلد الأول، ص200-211.
[3] المرجع نفسه ،ص 212-220.

خامساً: جغرافية الدولة العثمانية

.1الامتداد الجغرافي العثماني:

رغم الخسارات الترابية المتلاحقة التي منيت بها الدولة العثمانية في القرن التاسع عشر، فإنها دخلت الحرب العالمية الأولى وهي لا تزال تبسط سيادتها على رقعة جغرافية إستراتيجية هائلة تمتد فوق ثلاثة أقاليم رئيسية: شبه جزيرة الأناضول، وبلاد الشام، وموجات الوادي الرافديني في العراق، فضلاً عن أجزاء من شبه الجزيرة العربية (الحجاز واليمن). كانت الجغرافيا العثمانية تمثل "الجسر القاري" والقلب النابض الحاكم لخطوط الاتصال العالمية بين قارات العالم القديم[1].

شكل هذا الامتداد الجغرافي الشاسع ميزة وعيباً في آن واحد؛ فمن جهة، منح الدولة العثمانية عمقاً دفاعياً كبيراً وتضاريس جبلية وعرة (كجبال طوروس ومكتنفات القوقاز) تعيق تقدم الغزاة، ومن جهة أخرى، فرض عليها مواجهة جبهات قتال متعددة ومتباعدة تفصل بينها شبكة مواصلات بدائية تفتقر للسكك الحديدية الحديثة (باستثناء خط سكة حديد الحجاز وبعض أجزاء خط بغداد غير المكتمل)، مما جعل نقل القوات والإمدادات العسكرية من الأناضول إلى جبهات اليمن أو العراق أو سيناء يستغرق أسابيع وأشهراً من السير المضني[2].

.2المضائق التركية:

تمثلت الضربة الجيواستراتيجية الكبرى التي وجهها دخول الدولة العثمانية الحرب إلى جانب دول الوسط في إغلاقها الفوري لـــ"المضائق التركية" (البوسفور والدردنيل) أمام الملاحة الدولية. كان هذا الإجراء الجغرافي البسيط بمثابة إحكام طوق العزلة على الإمبراطورية الروسية؛ حيث انقطعت فوراً خطوط التبادل التجاري والعسكري بين روسيا وحليفتيها

[1] : ديفيد فرومكين، سلام لإنهاء كل سلام: ولادة الشرق الأوسط الحديث، ترجمة اسعد كامل (لندن , دار رياض الريس ،الطبعة العربية الأولى 1992)، 35-40.

[2] يوجين روغان، سقوط العثمانيين: الحرب العظمى في الشرق الأوسط، ترجمة خالد زيادة (الدوحة: المركز العربي، 2016)، 41-48.

بريطانيا وفرنسا، وحُرمت المصانع الروسية من الذخائر الغربية، كما حُرم الغرب من الحبوب الروسية[1].

هذا الاختناق الجغرافي دفع بريطانيا وفرنسا إلى محاولة كسر هذا الطوق العسكري عبر التخطيط لـــ"حملة غاليبولي" (شبه جزيرة جاناق قلعة) عام 1915م؛ وهي عملية جيواستراتيجية بحرية وبرية ضخمة استهدفت اقتحام مضيق الدردنيل بالقوة، والسيطرة على العاصمة العثمانية إسطنبول، وفتح ممر الإمداد المائي لروسيا، وإخراج العثمانيين من معادلة الحرب. غير أن تضاريس غاليبولي الوعرة، والاستحكامات الدفاعية العثمانية المحكمة، أفشلت الحملة تماماً، مما رسخ العزلة الجغرافية لروسيا وعجل بانهيارها الداخلي لاحقاً[2].

.3جبهة قناة السويس والشرق العربي:

لم تقتصر الخطورة الجيواستراتيجية العثمانية على المضائق الشمالية، بل امتدت جنوباً نحو جغرافية المشرق العربي وسلسلة الصحراء السينائية المتاخمة لـــ"قناة السويس". كانت قناة السويس تمثل في التفكير الإستراتيجي البريطاني "شريان الحياة للإمبراطورية كونها الممر المائي القصير والوحيد الذي يربط بريطانيا بمستعمرتها الكبرى في الهند وضخامتها الديمغرافية والاقتصادية[3].

انطلاقاً من هذا الواقع الجغرافي، شنت القوات العثمانية بقيادة أحمد جمال باشا وبدعم تخطيطي ألماني هجمات عسكرية عبر صحراء سيناء (حملات القناة الأولى والثانية) بهدف قطع هذا الشريان الإستراتيجي الحاسم. ورغم الفشل العسكري لتلك الحملات في اختراق القناة، إلا أنها حققت هدفاً جيوسياسياً لدول الوسط؛ وتجسد ذلك في إجبار بريطانيا على الاحتفاظ بقوات عسكرية برية وبحرية ضخمة جداً في مصر لحماية القناة، وحرمان الجبهة الغربية في فرنسا من تلك التعزيزات الحيوية لفترات طويلة من عمر الحرب[4].

[1] شون ماكميكين، نهاية الدولة العثمانية: الحرب والثورة وصنع الشرق الأوسط الحديث ، 2015، ص 25-38.
[2] المرجع نفسه ، سقوط العثمانيين، 49-55.
[3] احمد زكريا ، تاريخ العرب الحديث من الفتح العثماني حتى نهاية الحرب العالمية الأولى (القاهرة: المكتب المصري للمطبوعات، 2014)، 216-224
[4] المرجع نفسه, ص 225-230.

سادساً: الولايات المتحدة الأمريكية

حتى عام 1917م، كانت جغرافية الحرب العالمية الأولى محصورة ومتمحورة حول القارة الأوروبية وامتداداتها الشرق أوسطية والإفريقية. وكان دخول الولايات المتحدة الأمريكية النزاع بمثابة إقحام لـــ"مدى جغرافي جديد" غير قابل للاختراق من قبل دول الوسط. منحت الجغرافيا الحصينة للولايات المتحدة ـــــ المحمية بالمحيط الأطلسي شرقا والمحيط الهادئ غرباً ـــــ مأمناً مطلقاً من أي تهديد أو دمار عسكري مباشر قد يطال بنيتها التحتية أو الصناعية[1].

أتاح هذا التباعد الجغرافي الفريد لـــواشنطن تحويل أراضيها الشاسعة إلى عمق تمويني واقتصادي هائل، ومصنع ضخم غير قابل للاستهداف يوفر الغذاء، والسلاح، والقروض المالية لدول الوفاق منذ بداية الحرب تحت غطاء التجارة الدولية وحرية الملاحة البحرية. وحين قررت الإدارة الأمريكية التدخل العسكري المباشر، تحول المحيط الأطلسي من حاجز مائي عازل إلى جسر بري عائم تدفقت عبره خطوط الإمداد العسكري والجيوش الأمريكية الطازجة لترجح كفة الحلفاء بشكل حاسم ومطلق[2].

أمام التفوق البحري البريطاني والحصار المفروض على موانئها، ولتطويق الإمدادات الأمريكية المتدفقة عبر الأطلسي، لجأت ألمانيا إلى خيار عسكري كسر القوانين البحرية التقليدية، وهو "حرب الغواصات غير المحدودة". كانت هذه الإستراتيجية الألمانية تحاول إلغاء الميزة الجغرافية للمحيط الأطلسي كخط إمداد آمن، من خلال تحويل أعماق البحار إلى مسرح عمليات هجومي يستهدف إغراق كافة السفن التجارية المتجهة إلى موانئ الحلفاء دون تمييز[3].

ورغم النجاح الكبير الذي حققته الغواصات الألمانية في الشهور الأولى من عام 1917م في إحداث أزمة تموينية خانقة داخل بريطانيا، إلا أن هذا الأسلوب أدى في نهاية المطاف

[1] رشيد خشانة (تحرير)، الطريق إلى سايكس–بيكو: الحرب العالمية الأولى بعيون عربية (الدوحة: مركز الجزيرة للدراسات، 2016)، 21-25
[2] المرجع السابق ،ص 26-30.
[3] مرجع سابق , ص 80-83

إلى استفزاز الولايات المتحدة ودفعها لإعلان الحرب رسمياً. وبذلك، تحولت محاولة ألمانيا لكسر الحصار الجغرافي البحري عبر سلاح الغواصات إلى عامل حاسم في جلب قوة ديمغرافية واقتصادية عملاقة قضت نهائياً على آخر آمال دول الوسط في الصمود الجغرافي والعسكري[1].

سادسا : دول أخرى انضمت الى الحرب العالمية الأولى :

1 دول المركز

بلغاريا: انضمت إلى دول المركز لتستعيد مكاسب إقليمية في البلقان، وساهمت في الضغط على صربيا وفتح الطريق البري بين ألمانيا والدولة العثمانية[2].

2 دول الحلفاء

صربيا: كانت الشرارة الأولى للأزمة بسبب الصراع القومي مع النمسا–المجر، وخاضت حربًا دفاعية قاسية قبل أن تُحتل، لكنها صمدت سياسيًا كرمز للمقاومة البلقانية.

بلجيكا: كان دورها مهماً لأنها صمدت أمام الغزو الألماني، وأدى انتهاك حيادها إلى دخول بريطانيا الحرب.

اليابان: استغلت الحرب لتوسيع نفوذها في آسيا والمحيط الهادئ، وساندت الحلفاء ضد المواقع الألمانية في الشرق الأقصى

رومانيا: دخلت لتأمل مكاسب في ترانسلفانيا، لكنها واجهت هجمات قاسية من دول المركز.

البرتغال: شاركت بدور محدود نسبيًا لكنها دعمت الحلفاء عسكريًا ولوجستيًا.

[1] المصدر نفسه، 86-90.
[2] الحرب العالمية الأولى : موسوعة الهولوكوست

اليونان: ساهمت في دعم الحلفاء في البلقان بعد انقسام سياسي داخلي طويل.

الصين: شاركت رمزيًا وعماليًا بإرسال عمال لدعم المجهود الحربي للحلفاء، أكثر من كونها قوة قتالية كبرى.

البرازيل: كانت أول دولة من أمريكا الجنوبية تنضم، وقدمت دعمًا سياسيًا وبحريًا محدودًا.

سيام/تايلاند: شاركت في أواخر الحرب لإثبات حضورها الدولي بعد الانحياز للحلفاء.

ليبيريا: انضمت سياسيًا ضمن المعسكر الحليف.

الجبل الأسود: دعم صربيا وحارب ضمن المحور البلقاني الصغير ضد النمسا–المجر[1].

[1] نفس المرجع

المبحث الثاني : الأوضاع السياسية في اوربا قبل الحرب

لم تكن الحرب العالمية الأولى وليدة الصدفة أو نتاج حادثة اغتيال معزولة في سراييفو، بل كانت الانفجار الحتمي لبنية دولية مشحونة بالتناقضات والتصدعات البنيوية التي تراكمت في الجسد الأوروبي منذ الربع الأخير من القرن التاسع عشر. لقد تحولت القارة الأوروبية من نظام محكم لتوازن القوى أرسى قواعده "مؤتمر فيينا"، إلى ساحة صراع مفتوح ومستتر قسّم القارة إلى معسكرين مسلحين. ترافق هذا الانقسام مع اندفاعة إمبريالية محمومة نحو التوسع الاستعماري، وصعود هائل للنزعات القومية التي دكت مضاجع الإمبراطوريات القديمة متعددة الإثنيات، فضلاً عن سباق تسلح بري وبحري غير مسبوق حوّل الاقتصاد والصناعة إلى أدوات لخدمة الآلة الحربية. يستعرض هذا المبحث بالتحليل والدراسة ذروة تلك التفاعلات من خلال اثني عشر محوراً متشابكاً صاغت مجتمعةً المشهد السياسي والعسكري الحرج لقارة تقف على حافة الهاوية.

أولا : انقسام أوروبا إلى معسكرين:

تعد السمة الأبرز للمشهد السياسي الأوروبي قبيل عام 1914 هي زوال نظام العلاقات المرن والدبلوماسية المفتوحة، ليحل محلها نظام صارم وقاسٍ تمثل في الأحلاف العسكرية المغلقة التي شطرت القارة إلى معسكرين متقابلين ومتوجسين. بدأت هذه الهيكلية المعقدة مع الجهود الدبلوماسية التي قادها المستشار الألماني أوتو فون بسمارك لتأمين الإمبراطورية الألمانية الناشئة وعزل فرنسا؛ حيث أسس "التحالف الثلاثي (Triple Alliance)" عام 1882 والذي ضم ألمانيا، والنمسا–المجر، وإيطاليا. كان هذا الحلف بمثابة كتلة صلبة في وسط القارة تهدف إلى ردع أي محاولة فرنسية للانتقام بعد هزيمة عام 1870.[1]

في المقابل، أدى التخلي الألماني لاحقاً عن سياسات التوازن البسماركية بعد عام 1890 إلى تقارب تدريجي بين القوى المستبعدة والمهددة. تبلور هذا التقارب أولاً في التحالف الفرنسي–

[1] عمر عبد العزيز عمر، تاريخ أوربا الحديث والمعاصر (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1999)، ص 342.

الروسي عام 1894، وهو ما جعل ألمانيا تواجه كابوس حرب الجبهتين الذي طالما حذر منه بسمارك. تلا ذلك تسوية الخلافات الاستعمارية بين بريطانيا وفرنسا عبر "الاتفاق الودي" عام 1904، ثم الاتفاق البريطاني–الروسي عام 1907، لينتج عن هذا المثلث الدبلوماسي ما عُرف بـــ "الوفاق الثلاثي) " [1]وبذلك انقسمت أوروبا عسكرياً وسياسياً إلى كتلتين متوازنتين ظاهرياً، لكنهما شديدتا الحساسية؛ حيث بات أي توتر بين دولتين صغيرتين ينتمي كل منهما لمعسكر مختلف كفيلاً بجر القارة بأكملها إلى مواجهة شاملة بفعل التزامات الدفاع المشترك المتبادلة.

ثانيا: تغير موازين القوى :

ارتبط هذا الانقسام العسكري بتحول جذري وعميق في موازين القوى المادية والجيوسياسية داخل القارة الأوروبية. منذ معاهدة وستفاليا وحتى منتصف القرن التاسع عشر، كان توازن القوى يستند إلى وجود قوى متعددة تتنافس فيما بينها دون أن تتمكن إحداها من الهيمنة المطلقة. إلا أن الوحدة الألمانية عام 1871، والتي تحققت على حساب الإمبراطورية الفرنسية، أحدثت اختلالاً جوهرياً في هذا النظام المعهود.[2] فجأة، برزت في قلب أوروبا قوة بشرية واقتصادية وعسكرية هائلة تتمتع بديناميكية صناعية فائقة تخطت في غضون عقود قليلة القدرات الإنتاجية البريطانية والفرنسية مجتمعة.

هذا الصعود الألماني الصاروخي لم يترافق مع ارتياح دولي، بل ولد ما يُعرف عسكرياً بـــ "المعضلة الأمنية"، حيث رأت القوى المحيطة بألمانيا، ولا سيما الإمبراطورية الروسية في الشرق والجمهورية الفرنسية في الغرب، أن تنامي النفوذ الألماني يمثل تهديداً وجودياً لأمنها القومي. من جهة أخرى، شعرت بريطانيا بأن سيادتها التقليدية على البحار والتجارة الدولية أصبحت مهددة بشكل مباشر بفعل السياسة العالمية الجديدة التي انتهجها القيصر الفيلهلم

[1] عبد العزيز سليمان نوار ومحمود محمد جمال الدين، التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى (القاهرة: دار الفكر العربي، 2002)، ص 415.
[2] عبد الفتاح أبو علية وإسماعيل أحمد ياغي، تاريخ أوربا الحديث والمعاصر (المدينة المنورة: دار الزمان، 1997)، ص 188.

الثاني. هذا الخلل الهيكلي في موازين القوى جعل المنظومة الدولية عاجزة عن استيعاب الطموحات الألمانية الجديدة من جهة، ومخاوف القوى التقليدية الكبرى من جهة أخرى.

ثالثا : التسابق الصناعي والاقتصادي

لم تكن التحولات السياسية سوى انعكاس لثورة صناعية ثانية أعادت تشكيل القدرات المادية للدول الأوروبية. لقد غدت المصانع، ومناجم الفحم، وخطوط السكك الحديدية، ومصاهر الصلب هي المعيار الحقيقي لوزن الدولة العسكري والسياسي. في هذا السياق، شهدت العقود التي سبقت الحرب العالمية الأولى منافسة اقتصادية شرسة؛ حيث اندفعت ألمانيا نحو تحدي الهيمنة التجارية البريطانية في الأسواق العالمية، مستفيدة من تفوقها في الصناعات الكيميائية والكهربائية والثقيلة[1].

هذا التفوق الصناعي الألماني أثار ذعر الدوائر الاقتصادية والسياسية في لندن، والتي كانت ترى في بريطانيا "ورشة العالم" التي لا تُنافس. وفي الوقت نفسه، بدأت روسيا القيصرية، برغم تخلف بنيتها السياسية والاجتماعية، تشهد طفرة صناعية مدعومة برؤوس أموال فرنسية هائلة ركزت على بناء السكك الحديدية الإستراتيجية وتطوير الصناعات العسكرية في حوض دونيتس، وهو ما أثار مخاوف هيئة الأركان الألمانية من احتمال تنامي القدرة العسكرية الروسية إلى حد لا يمكن كبحه مستقبلاً.

وبذلك، تحولت الرأسمالية الصناعية الأوروبية إلى وقود يغذي النزعات الحمائية والتنافس على الأسواق ومصادر المواد الخام، وربطت الرخاء الاقتصادي بالقدرة على فرض النفوذ بالقوة.

رابعا: التنافس الاستعماري

امتد الصراع على النفوذ الاقتصادي والصناعي خارج الحدود الأوروبية ليتحول إلى موجة إمبريالية عاتية عُرفت تاريخياً بـــ "التسابق على أفريقيا" والشرق. كان التنافس الاستعماري

[1] العلاقات الدولية بين القوى الكبرى (1814–1919)، ترجمة أمين محمود (بيروت: دار الحكمة للنشر، 2005)، ص 295.

وسيلة لنقل التوترات الداخلية في أوروبا إلى الساحة العالمية، ومحاولة لتوسيع رقعة النفوذ الجيوسياسي وتأمين مصادر المواد الأساسية والأسواق الحصرية. تبلور هذا التنافس في مؤتمر برلين (1884–1885)، الذي نظمه بسمارك لتقنين وتقسيم القارة الأفريقية بين القوى الكبرى دون الدخول في مواجهات مسلحة مباشرة.

ومع ذلك، فإن هذا التقسيم لم يرضِ القوى الصاعدة؛ فقد استشعرت ألمانيا أنها وصلت متأخرة إلى الساحة الاستعمارية ولم تنل سوى "فتات" ما تركته الإمبراطوريتان البريطانية والفرنسية اللتان استأثرتا بأملاك شاسعة. أدى هذا الإحباط الجيوسياسي إلى تبني برلين لسياسة خارجية هجومية، تجلت بوضوح في محاولات التغلغل الألماني في الشرق العربي والدولة العثمانية عبر مشاريع طموحة مثل خط سكة حديد برلين–بغداد، وهو المشروع الذي رأت فيه بريطانيا تهديداً مباشراً لطريق الهند، بينما اعتبرته روسيا تطويقاً لنفوذها التاريخي في المضائق. هذا التشابك بين الطموحات الإمبريالية والمخاوف القومية جعل المستعمرات بؤراً دائمة لتوليد الأزمات التي ترتد شظاياها سريعاً إلى الداخل الأوروبي.

خامسا: السباق نحو التسلح

نتيجة طبيعية لانقسام القارة إلى معسكرين متعاديين وتزايد التنافس الاقتصادي والاستعماري، دخلت القوى الأوروبية الكبرى فيما يمكن تسميته بأكبر سباق تسلح بري في التاريخ الحديث حتى ذلك الوقت. انطلقت الحكومات في تبني قوانين الخدمة العسكرية الإلزامية وتمديد فترات التجنيد، مما ضاعف من حجم الجيوش النظامية وقوات الاحتياط بشكل مطرد. أصبحت العقيدة العسكرية السائدة لدى هيئات الأركان العامة مبنية على فكرة "الهجوم الخاطف" والمبادرة السريعة، حيث ساد الاعتقاد بأن الحرب القادمة ستكون قصيرة وحاسمة وتعتمد على سرعة الحشد والتعبئة[1].

ارتفعت الميزانيات العسكرية لكل من ألمانيا وفرنسا وروسيا بنسب فلكية في الفترة ما بين 1910 و1914؛ فزاد الجيش الألماني من عديده البشري ليتجاوز ثمانمائة ألف جندي في

[1] مرجع سابق، ، ص 73

وقت السلم، وردت فرنسا بتمديد الخدمة العسكرية إلى ثلاث سنوات لتعويض نقصها الديمغرافي مقارنة بألمانيا، بينما وضعت روسيا "البرنامج العسكري الكبير" لتحديث وتوسيع جيوشها بحلول عام 1917.[1]هذا التسلح المحموم خلق حالة من التوجس الدائم، حيث غدا كل إجراء دفاعي تقوم به دولة ما يُفسر من قِبل جيرانها على أنه استعداد لشن هجوم وشيك، مما عمق "المعضلة الأمنية" وجعل الجيوش في حالة تأهب دائم لا تنتظر سوى إشارة الانطلاق.

سادسا : السباق البحري

إذا كان التنافس البري قد تركز في وسط وشرق أوروبا، فإن الصراع على السيادة البحرية شكل المحور الأساسي للعلاقات البريطانية–الألمانية. تقليدياً، كانت بريطانيا تتبع سياسة "معيار الدولتين، والتي تقضي بأن يكون أسطولها الحربي مساوياً على الأقل لمجموع أسطولي ثاني وثالث أكبر قوتين بحريتين في العالم، وذلك لضمان حماية طرق تجارتها وإمبراطوريتها المترامية الأطراف. إلا أن هذه السياسة تلقت طعنة مباشرة عندما أطلق الأدميرال الألماني ألفريد فون تيربيتز، بدعم كامل من القيصر فيلهلم الثاني، سلسلة من قوانين الأسطول ابتداءً من عام 1898 لبناء أسطول مياه عميقة ألماني حديث[2].

هدفت خطة تيربيتز إلى بناء قوة بحرية قادرة على ردع بريطانيا وإجبارها على تقديم تنازلات استعمارية وسياسية. أدى هذا التحدي إلى اندلاع سباق بحري محموم، وصل ذروته بعد قيام بريطانيا بإنشاء السفينة الحربية الثورية "دبابة البحر "عام 1906، والتي جعلت جميع السفن القديمة عديمة الفائدة تقريباً. بدلاً من ردع بريطانيا، دفعها هذا السباق إلى إلقاء ثقلها المالي لبناء المزيد من هذه السفن الضخمة، والأهم من ذلك، دفعها للخروج من "عزلتها المجيدة" والارتماء في أحضان التقارب الدبلوماسي مع فرنسا وروسيا لتأمين جبهتها

[1]" الحرب العالمية الأولى.. الأسباب والأطراف والنتائج"، موسوعة الجزيرة، تاريخ النشر 28 يونيو 2014،

[2] محمد نعمة حسن، "سباق التسلح البحري بين ألمانيا وبريطانيا قبيل الحرب العالمية الأولى"، مجلة المؤرخ العربي، مج 17، ع 17 (2009): ص 335

البحرية.[1] وبذلك، تحول الأسطول الألماني الناشئ من أداة ضغط سياسي إلى مسمار أخير في نعش العلاقات الودية بين لندن وبرلين.

سابعا: صعود القوميات

بينما كانت الحكومات تدير صراعاتها العسكرية والدبلوماسية، كانت هناك قوة أيديولوجية كاسحة تعيد تشكيل وعي الشعوب وولاءاتها؛ إنها النزعة القومية. طوال القرن التاسع عشر، تحولت القومية من فكرة تحررية ارتبطت بالثورة الفرنسية إلى أيديولوجية شوفينية عدائية تتبناها الدول لتعزيز شرعيتها والتحشيد الشعبي. تجلت هذه الظاهرة في الرغبة العارمة لدى بعض الشعوب في تحقيق الوحدة السياسية أو الاستقلال عن السيطرة الأجنبية، وفي المقابل استخدمتها الأنظمة الحاكمة كأداة لتبرير التوسع الخارجي وتصوير الصراعات السياسية كمعارك وجودية وحضارية[2].

في غرب أوروبا، ظلت فكرة القومية تتغذى على مشاعر المرارة والعداء؛ ففي فرنسا، تحولت الدعوة لاستعادة مقاطعتي الألزاس واللورين اللتين ضمتها ألمانيا بعد حرب 1870 إلى عقيدة سياسية شبه مقدسة في المدارس والصحافة. أما في شرق أوروبا والبلقان، فقد اتخذت القومية طابعاً تدميرياً ومفككاً، حيث بدأت الشعوب الخاضعة لحكم الإمبراطوريات الكبرى تطالب بحقها في تقرير المصير وتأسيس دول قومية مستقلة بناءً على الهوية اللغوية والإثنية المشتركة، مما جعل من صعود القوميات قنبلة موقوتة تهدد الخارطة السياسية المستقرة للقارة[3].

ثامنا: الروح القومية

ارتبط بصعود القوميات السياسي نمو "روح قومية" شعبية جارفة وغالبة اتسمت بالتعصب والشوفينية غذت هذه الروح وسائل الإعلام والصحافة الصفراء التي كانت تتبارى في تضخيم الأزمات الدولية والتحريض ضد الدول المجاورة، مستغلةً ارتفاع معدلات التعليم

[1] المرجع نفسه، ص 350-352.
[2] هانز كون، فكرة القومية: دراسة في أصولها وتطورها، عرض وتحليل في جريدة البيان الإماراتية، تاريخ النشر 12 مارس 2004
[3]" العلاقات الدولية قبل الحرب العالمية الأولى"، موسوعة أراجيك (قسم السياسة)، تاريخ النشر 20 مارس 2020،

والوعي السياسي بين الجماهير. تحول المواطن الأوروبي العادي، بفعل المناهج الدراسية الموجهة والتجنيد الإلزامي، إلى عنصر مشحون بالعداء التلقائي لـــ "الآخر" الجغرافي والسياسي[1].

هذه التعبئة النفسية والروحية أدت إلى نشوء حركات فكرية وسياسية عابرة للحدود غاية في الخطورة، مثل "الجامعة الألمانية "التي كانت تنادي بتوحيد جميع الشعوب الناطقة بالألمانية تحت راية الرايخ وتبرر التوسع نحو الشرق، وفي المقابل ظهرت حركة "الجامعة السلافية" المدعومة من روسيا القيصرية، والتي كانت تسعى لتوحيد الشعوب السلافية في البلقان تحت الرعاية الروسية.[2] خلقت هذه الأجواء المشحونة مناخاً عاماً يرفض التنازلات الدبلوماسية ويعتبرها مهانة قومية، مما حد من قدرة الساسة ورجال الدولة على المناورة السلمية وأجبرهم على اتخاذ مواقف متصلبة تماشياً مع الضغط الشعبي المتأجج.

تاسعا: ضعف الإمبراطوريات متعددة القوميات

في مقابل الدول القومية الفتية والحديثة كألمانيا وإيطاليا، واجهت الكيانات الإمبراطورية التقليدية القديمة التي تقوم على حكم سلالات ملكية لشعوب وإثنيات متعددة أزمة وجودية حادة. لم تعد صيغ الحكم التقليدية المبنية على الولاء للتاج أو السلالة قادرة على الصمود أمام أمواج القومية المتلاطمة. أصبحت هذه الإمبراطوريات، التي تفتقر إلى تجانس لغوي أو ثقافي، تبدو ككيانات عتيقة تنتمي إلى العصور الوسطى وتحاول جاهدة البقاء في عصر الدولة القومية الحديثة[3].

كانت الإمبراطورية الروسية تعاني من هذا الشرخ، حيث حاولت التغلب عليه بسياسات "الترويس" القسرية لشعوبها غير الروسية كالبلنديين والأوكرانيين وشعوب البلطيق، مما أدى إلى نتائج عكسية تماماً وزاد من حدة الاحتقان الداخلي والاضطرابات الثورية. غير أن التصدع الأكبر والأكثر خطورة على السلم الأوروبي كان يتركز في قلب القارة وجنوبها

[1] تاريخ أوروبا السياسي والثقافي بخطوطه العريضة (الرياض: شبكة الألوكة الثقافية، 2011)، ص 206.
[2] " الأوضاع السياسية في أوروبا وآثار الحرب العالمية الأولى" (مذكرة ماستر ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2015)، ص 42.
[3] " التحولات الكبرى في أوروبا 1453–1914"، مادة تعليمية للتاريخ، وزارة التربية والتعليم، ص 89.

الشرقي، حيث أصبحت مسألة الهويات الإثنية هي المحرك الأساسي للأحداث، وبات عجز هذه الإمبراطوريات عن استيعاب طموحات شعوبها يمثل المهدد الأول للاستقرار الإقليمي

عاشرا : ضعف النمسا والمجر والدولة العثمانية

تجسدت أزمة الإمبراطوريات متعددة القوميات بشكل مأساوي في كل من إمبراطورية النمسا–المجر (الملكية الثنائية) والدولة العثمانية ("رجل أوروبا المريض"). في النمسا–المجر، كان التوازن الداخلي هشاً للغاية؛ فقد منحت تدوية عام 1867 الهيمنة للنمساويين المان والمجر، بينما ظلت الأغلبية السلافية (من تشيك وسلوفاك وكروات وصرب) تعاني من التهميش السياسي والاضطهاد الثقافي.[1] تطلعت الشعوب السلافية الجنوبية في الإمبراطورية نحو مملكة صربيا المجاورة باعتبارها "بيدمونت السلاف" التي ستقود مشروع الوحدة والتأسيس لدولة يوغوسلافيا، مما جعل النمسا تنظر إلى صربيا كتهديد مميت لوحدتها الإقليمية يجب سحقه في أول فرصة.

أما الدولة العثمانية، فقد كانت تعاني من تراجع مستمر وتفكك متسارع لقواها السياسية والعسكرية والمالية طوال القرن التاسع عشر. أدى هذا الضعف الهيكلي إلى عجز الباب العالي عن الحفاظ على ممتلكاته في شبه جزيرة البلقان أمام ثورات الشعوب المسيحية الطامحة للاستقلال والأطماع التوسعية للقوى الكبرى.[2] ترك التراجع العثماني المستمر فراغاً جيوسياسياً هائلاً في جنوب شرق أوروبا، تحول سريعاً إلى ساحة صراع دولي شرس عُرف بـــ "المسألة الشرقية"، حيث تسابقت القوى الكبرى، لا سيما روسيا والنمسا، لملء هذا الفراغ والسيطرة على التركة العثمانية، مما جعل البلقان يلقب بحق بـــ "برميل بارود أوروبا."

احدى عشر: الأزمات الدولية في أوروبا

[1] " اليقظة العربية وصراع القوميات في أوروبا"، الموسوعة العربية (دمشق)، مج 22، ص 412

[2] مجموعة مؤلفين، مئة عام على الحرب العالمية الأولى: مقاربات عربية، المجلد الأول، ص 105.

نتيجة لهذا الفراغ الجيوسياسي والتنافس الإمبريالي المحموم، شهدت العقدان اللذان سبقا عام 1914 سلسلة من الأزمات الدولية الحادة التي كادت في أكثر من مناسبة أن تشعل فتيل الحرب الشاملة. تميزت هذه الأزمات بتبادل التحدي واستعراض القوة العسكرية بين المعسكرين. برزت أولاً الأزمات المغربية (أزمة طنجة عام 1905 وأزمة أغادير عام 1911)، حيث حاولت ألمانيا اختبار متانة "الاتفاق الودي" بين بريطانيا وفرنسا عبر تحدي النفوذ الفرنسي في المغرب، إلا أن النتيجة جاءت عكسية؛ إذ تماسكت الجبهة البريطانية–الفرنسية وتعمق الانعزال الدبلوماسي الألماني[1].

انتقلت بؤرة التوتر بعد ذلك بشكل حاسم نحو الشرق، حيث اندلعت أزمة الضم البوسنية عام 1908 عندما أقدمت النمسا–المجر رسمياً على ضم مقاطعتي البوسنة والهرسك العثمانيتين اللتين كانت تديرهما منذ مؤتمر برلين. أثار هذا الإجراء غضباً عارماً في صربيا التي كانت ترى في البوسنة امتداداً قومياً لها، وكاد الصراع ينفجر مع روسيا (حامية الصرب)، لولا التدخل الألماني الحاسم بدعم النمسا، مما أجبر روسيا على التراجع مهانة، وهي الإهانة التي أقسمت سانت بطرسبرغ ألا تكررها مستقبلاً.[2] بلغت الأزمات ذروتها مع "حروب البلقان" (1912–1913)، التي تمكنت فيها دول البلقان الصغيرة من تصفية الوجود العثماني في أوروبا تقريباً، وخرجت منها صربيا مستفيدة بشكل كبير ومتضاعفة المساحة والنفوذ، مما زاد من هلع النمسا وعزز قناعتها بأن مواجهة عسكرية حاسمة مع صربيا باتت أمراً لا مفر منه لحفظ كيان الإمبراطورية من التفكك.

اثنا عشر: الأزمات الدبلوماسية

واكبت هذه الأزمات الميدانية حالة من الشلل والتعفن في القنوات الدبلوماسية التقليدية؛ حيث تحولت الدبلوماسية من أداة لتسوية النزاعات والبحث عن حلول وسط إلى منبر لإصدار الإنذارات النهائية (Ultimatums) وممارسة سياسة "الحافة .(Brinkmanship) "تراجعت

[1] " ما قبل المعركة: الأحداث التي جعلت أوروبا على صفيح ساخن قبل الحرب العالمية الأولى"، موقع أراجيك، تاريخ النشر 5 مايو 2019،
[2] عمر عبد العزيز عمر، تاريخ أوربا الحديث والمعاصر، ص 385.

الثقة المتبادلة بين الحكومات إلى أدنى مستوياتها، وأصبحت اللقاءات الدولية والمؤتمرات تُستغل لإملاء الشروط وفرض الأمر الواقع بدلاً من التفاوض الحقيقي

هذا التصلب الدبلوماسي كان مدفوعاً بوضوح برغبة كل دولة في إثبات قوتها وعدم الظهور بمظهر الضعيف أمام رأيها العام المشحون بالروح القومية، وأمام حلفائها لضمان تماسك المعسكر الذي تنتمي إليه. لم يعد صانعو القرار يبحثون عن توازنات مستدامة، بل أصبحوا أسرى لجداول التعبئة العسكرية الصارمة وخطط الحرب الإستراتيجية الجامدة التي وضعتها هيئات الأركان. عندما حلّت أزمة يوليو عام 1914 عقب اغتيال الأرشيدوق النمساوي فرانز فرديناند في سراييفو، وجد النظام الدبلوماسي الأوروبي نفسه عاجزاً تماماً عن احتواء الموقف؛ فقد تغلبت لغة الإنذارات والتحشيد العسكري على لغة الحوار، وسارت القارة بخطى متسارعة ومدفوعة ببنيتها المتصدعة نحو الدمار الشامل[1]

[1] عبد العزيز سليمان نوار ومحمود محمد جمال الدين، التاريخ الأوروبي الحديث، ص 440.

المبحث الثالث: الواقع السياسي للعالم العربي قبيل الحرب العالمية الأولى:

تشكّل المشهد السياسي للعالم العربي عشية الحرب العالمية الأولى من شبكة معقدة من التفاعلات الداخلية والتحديات الخارجية التي صاغت مصيره المعاصر؛ فبينما كانت القارة الأوروبية تتكتل في أحلاف عسكرية مغلقة تتهيأ للصدام، كان الوطن العربي يعيش مخاضاً بنيوياً حاداً غيّر من خارطته الجيوسياسية وولاءاته التقليدية. لم يعد الفضاء العربي يخضع لتلك المعادلة البسيطة التي ميزت القرون السابقة، بل بات مسرحاً لانقسام هيكلي عميق وجوهري بين نفوذين: حكم عثماني مباشر في المشرق العربي يصارع للبقاء أمام تفككه الداخلي وأزماته الدستورية، وهيمنة استعمارية أوروبية صريحة أحكمت طوقها على المغرب العربي ومصر والسودان.

يرتكز هذا المبحث على إعادة قراءة وتحليل الواقع السياسي العربي قبيل عام 1914، عبر رصد جغرافيا الانقسام الإداري، وتتبع تصاعد التوتر بين النخب العربية المتطلعة للامركزية والمركز العثماني المتأثر بسياسات التتريك الشوفينية. كما يسلط الضوء على تغلغل الجمعيات الأدبية والسياسية التي قادت اليقظة الفكرية والقومية، وصولاً إلى دراسة طبيعة القيادات التقليدية في الجزيرة العربية وتعدد ولاءاتها البينية، والتوغل الإمبريالي الذي جعل من الجغرافيا العربية ساحة مكشوفة للتنافس الدولي، وذلك بالاعتماد على أدبيات جيل الأحداث والدراسات الأكاديمية المقارنة.

أولا: الانقسام الجيوسياسي: بين الحكم العثماني والهيمنة الأوروبية

تمثل القيد الهيكلي الأساسي للواقع العربي قبيل عام 1914 في التجزئة الإدارية والسياسية المفروضة بفعل تباين موازين القوى الدولية؛ حيث انشطر العالم العربي بوضوح إلى نمطين متمايزين من السيادة والتحكم. فمن جهة، استمر المشرق العربي (بلاد الشام، العراق، وأجزاء واسعة من الجزيرة العربية) يشكل العمق الإستراتيجي والجغرافي الحيوي

للإمبراطورية العثمانية، خاضعاً لشرعيتها السياسية والدينية، وإن شهد هذا الخضوع تبدلات عنيفة في طبيعة العلاقة المركزية مع الأستانة بعد الانقلاب الدستوري لعام 1908[1].

ومن جهة أخرى، كان المغرب العربي والعمق الإفريقي العربي (الجزائر، تونس، المغرب، ليبيا، ومصر والسودان) قد سُلخ تماماً وبشكل متتابع عن سلطة الدولة العثمانية الفعلية، ليرتمي في أحضان التوسع الإمبريالي الغربي. خلق هذا الانقسام واقعاً سياسياً ثنائياً: جبهة مشرقية تعيش أزمة هوية وولاء داخل بنية الخلافة الإسلامية المتداعية، وجبهة مغربية ومصرية ترزح تحت إدارة كولونيالية مباشرة تسعى لتسخير مقدراتها البشرية والمادية لخدمة الأهداف الإستراتيجية للدول المستعمرة في الصراع الأوروبي الوشيك[2].

ثانيا: ضعف المركز العثماني وتداعياته على الولايات العربية

عانت الدولة العثمانية في العقود الأخيرة التي سبقت الحرب العظمى من وهن هيكلي عام أصاب مفاصلها الإدارية والمالية والعسكرية، مما انعكس سلباً على قدرتها في الحفاظ على تماسك ولاياتها العربية وتأمين أمنها الداخلي والخارجي. أدى هذا التراجع المستمر إلى عجز الباب العالي عن توفير الحماية الفعلية لثغور العالم العربي أمام الاندفاعة الاستعمارية، فضلاً عن تحول الإدارة العثمانية في الولايات إلى جهاز بيروقراطي يركز بالدرجة الأولى على جباية الضرائب الثقيلة وتجنيد الشبان قسرياً للمشاركة في حروب الإمبراطورية الخاسرة في البلقان والأناضول[3].

هذا الضعف المادي والسياسي للمركز العثماني شجع القوى الدولية على التجرؤ على السيادة العثمانية، وتعاملت النخب العربية مع هذا التردي بنوع من التوجس والقلق على المستقبل؛ إذ بات واضحاً لجيل المثقفين والسياسيين العرب أن "رجل أوروبا المريض" لم يعد قادراً على تلبية شروط الحكم الرشيد أو حماية الرعايا من الأطماع الأجنبية، مما خلق بيئة خصبة

[1] [1] أحمد زكريا الشلق، تاريخ العرب الحديث من الفتح العثماني حتى نهاية الحرب العالمية الأولى (القاهرة: المكتب المصري للمطبوعات، 2014)، ص 312.

[2] زيان رقية، "موقف الأمة العربية من الحرب العالمية الأولى (1914–1918م)" (مذكرة ماستر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، 2025)، ص 18-20.

[3] عبد الرحمن الرافعي، العرب والحرب العالمية الأولى (القاهرة: دار المعارف، 1980)، ص 45.

للبحث عن بدائل سياسية وصيغ إدارية جديدة تضمن حقوق العرب وتصون كيانهم المجتمعي والسياسي[1].

ثالثا: واقع الحكم في المشرق العربي: تفاعلات الشام والعراق والجزيرة

تميزت الجغرافيا السياسية للمشرق العربي قبيل عام 1914 بنوع من التباين في أساليب السيطرة وإدارة السلطة. ففي حواضر بلاد الشام (ولايات دمشق، حلب، بيروت، ومتصرفية جبل لبنان) وولايات العراق (بغداد، البصرة، والموصل)، فرضت الأستانة نظاماً إدارياً مركزياً صارماً ومباشراً، حيث تولى إدارة هذه الولايات حكام عسكريون ومدنيون ترسلهم العاصمة، معتمدين على أجهزة أمنية وعسكرية لضبط الأمن وقمع التحركات المعارضة.[2] شهدت هذه المراكز الحضرية احتقاناً سياسياً واقتصادياً مزمناً، وتنامت في أوساط نخبها المتعلمة الرغبة في التخلص من الاستبداد الإداري والمطالبة بإصلاحات تنظيمية حقيقية تمنح السكان المحليين حق إدارة شؤونهم بأنفسهم.

أما في شبه الجزيرة العربية، فقد اختلف المشهد السياسي بشكل جذري؛ نظراً لطبيعتها الجغرافية الوعرة وافتقارها للموارد الاقتصادية الجاذبة للمركز، عجزت الدولة العثمانية عن فرض سيطرتها المباشرة إلا في خط الحجاز الإستراتيجي لحماية الأماكن المقدسة وسكة حديد الحجاز، في حين تركت المناطق الداخلية (نجد، عسير، واليمن) لقوى وزعامات محلية وقبلية تدير شؤونها بشكل مستقل ومستقل تقريباً.[3] تحولت الجزيرة العربية عشية الحرب إلى لوحة فسيفسائية من الكيانات السياسية المتنافسة التي تترقب مآلات الصراع الدولي لإعادة صياغة توازنات القوة في الإقليم، مما جعل السيادة العثمانية فيها مجرد مظلة اسمية هشة تفتقر إلى الفاعلية الحقيقية على الأرض.

[1] محمد عزة دروزة، نشأة الحركة العربية الحديثة (بيروت: دار النهضة العربية، 1971)، ج 1، ص 114.
[2] رسالة جامعية، "المشرق العربي 1516–1914"، أرشيف جامعة الجلفة الرقمي (2018)، ص 198، ملف
[3] أمين الريحاني، ملوك العرب: رحلة في البلاد العربية (القاهرة: مؤسسة هنداوي، 2021)، ص 88-90.

رابعا: سياسة التتريك والمركزية العثمانية:

شكل الانقلاب الدستوري الذي قادته جمعية الاتحاد والترقي عام 1908 في إسطنبول منعطفاً دراماتيكياً في مسار العلاقات العربية–العثمانية. فبعد موجة التفاؤل والابتهاج الشعبي العارم التي عمت الولايات العربية ظناً بأن العهد الدستوري الجديد سيعيد الحقوق والمساواة في إطار "الجامعة العثمانية"، سرعان ما تلطخت هذه الآمال بالسياسات القومية المتطرفة التي تبناها قادة الاتحاد والترقي (أمثال جمال باشا وأنور باشا)[1].

انتهج الاتحاديون سياسة "التتريك" الشوفينية القسرية، والتي استهدفت طمس الهوية الثقافية والتاريخية للشعوب غير التركية في الإمبراطورية، وفي مقدمتها الأمة العربية. تمثلت هذه السياسة الهجومية في فرض اللغة التركية كلغة وحيدة للإدارة والتعليم والقضاء في الولايات العربية، وإقصاء القيادات والموظفين العرب من المناصب السياسية والعسكرية الحساسة، وتحجيم دور النخب التقليدية.[2] أحدثت هذه النزعة المركزية الإقصائية شرخاً نفسياً وفكرياً عميقاً في الوجدان العربي؛ إذ أدرك العرب أن الرابطة الإسلامية الجامعة التي بنوا عليها ولاءهم التاريخي للخلافة قد تم استبدالها بنزعة قومية طورية ضيقة، مما أدى إلى تزعزع شرعية الحكم العثماني في عيون رعاياه العرب وتحول الصراع من خلاف سياسي وإداري إلى صدام هويات وجودي[3].

خامسا : صعود ونمو الوعي القومي العربي:

ردّاً على سياسات التتريك والمركزية المفرطة، شهد المشرق العربي قفزة نوعية في نمو الوعي القومي والسياسي، متحولاً من طور "النهضة الفكرية والأدبية" التي ميزت القرن التاسع عشر إلى طور "الحركة القومية المنظمة". بدأت النخب العربية المشحونة بالروح

[1] جورج أنطونيوس، يقظة العرب: تاريخ حركة العرب القومية، ترجمة ناصر الدين الأسد وإحسان عباس (بيروت: دار العلم للملايين، ط 8، 1987)، ص 162.

[2] أسعد داغر، مذكّراتي على هامش القضية العربية، تحقيق خالد زيادة (بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2020)، ص 73

[3] محمد عزة دروزة، تاريخ الجنس العربي في مختلف الأدوار والأطوار والأقطار (بيروت: المكتبة العصرية، 1962)، ج 6، ص 205.

القومية في صياغة مفهوم الهوية العربية المستقلة المستندة إلى التاريخ واللغة والثقافة المشتركة، وتأسيس أطر سياسية قادرة على مواجهة الغطرسة الاتحادية[1].

تجسد هذا الحراك في ظهور شبكة واسعة من الجمعيات والمنتديات السياسية والأدبية، والتي انقسمت إلى نوعين تماشياً مع الظروف الأمنية:

الجمعيات العلنية: مثل "جمعية الإخاء العربي العثماني" (1908)، و"حزب اللامركزية الإدارية العثماني" الذي تأسس في القاهرة عام 1912 وتحول إلى مركز لتوجيه النضال السياسي العربي، بالإضافة إلى "جمعية الإصلاح في بيروت" التي طالبت بإصلاحات محلية مباشرة[2].

الجمعيات السرية: التي ضمت نخب النخبة وخاصة الضباط العرب في الجيش العثماني؛ وتصدرتها "الجمعية القحطانية" (1909)، تلتها "جمعية العهد" (1913) ذات الطابع العسكري الصارم بقيادة عزيز علي المصري، وجمعية "العربية الفتاة" (1911) التي تأسست في باريس وضمت كبار المثقفين العرب[3].

شكلت هذه التنظيمات والجمعيات العقل المدبر للحركة القومية، حيث انتقلت بمطالب الشارع العربي من مجرد إصلاحات تجميلية إلى المطالبة بكيان سياسي عربي معترف به، سواء في إطار الفيدرالية أو الانفصال التام عند حدوث الانهيار العثماني المتوقع.

سادسا: المؤتمر العربي الأول في باريس (1913):

مثل انعقاد "المؤتمر العربي الأول" في قاعة الجمعية الجغرافية بالعاصمة الفرنسية باريس (يونيو 1913) المحطة السياسية الأبرز والدبلوماسية الأهم للحركة القومية العربية قبيل اندلاع الحرب العالمية الأولى. جاء المؤتمر بدعوة وتنظيم من جمعية "العربية الفتاة" والطلاب العرب في أوروبا، وبمشاركة وفود مثلت مختلف أطياف النخبة السياسية والفكرية

[1] " اليقظة العربية وعوامل النهضة السياسية في المشرق"، الموسوعة العربية (دمشق)، مج 22، ص 418.
[2] أحمد زكريا الشلق، تاريخ العرب الحديث، ص 340
[3] جورج أنطونيوس، يقظة العرب، ص 185-189.

في بلاد الشام والعراق، من المسلمين والمسيحيين، في مظهر جسد التلاحم القومي وتجاوز الانقسامات الطائفية[1].

تميزت الأوراق والمداولات التي طُرحت في المؤتمر بالواقعية والحرص على بقاء الرابطة العثمانية، حيث لم يطالب المؤتمرون بالاستقلال الكامل أو الانفصال، بل تلخصت مطالبهم الأساسية في:

تطبيق اللامركزية الإدارية الواسعة في الولايات العربية لتمكين السكان من إدارة شؤونهم.

الاعتراف باللغة العربية كلغة رسمية في مجلس المبعوثان (البرلمان) وفي المحاكم والمدارس داخل الولايات العربية.

جعل الخدمة العسكرية للشباب العرب محصورة داخل ولاياتهم في أوقات السلم[2]

حققت قرارات المؤتمر صدى واسعاً في الأوساط الدولية، مما اضطر حكومة الاتحاد والترقي إلى إبداء المرونة ظاهرياً وإرسال مندوبين لتوقيع "اتفاق باريس" الذي وافق على بعض هذه المطالب. إلا أن السلطات العثمانية، فور انقشاع الضغط الدبلوماسي، عادت إلى سياسة المماطلة والتسويف، ورفضت تطبيق البنود الجوهرية للاتفاق، بل وعمدت لاحقاً إلى ملاحقة بعض رموز المؤتمر. عمق هذا السلوك العثماني من خيبة الأمل العربية، وأقنع القيادات القومية بأن الأستانة لن تمنح العرب حقوقهم طوعاً، مما مهد لانتقال الحركة نحو تبني الخيارات الثورية المسلحة عند اندلاع الحرب[3].

سابعا: واقع الحكم في المغرب العربي:

في المقابل، كان الواقع السياسي في المغرب العربي يعيش فصلاً مغايراً تماماً من فصول التمزيق والسيطرة، حيث غدت المنطقة مختبراً لسياسات استعمارية أوروبية شرسة استهدفت تفكيك البنى السياسية والاجتماعية والاقتصادية التقليدية للمجتمعات العربية. ففي الجزائر،

[1]" المؤتمر العربي الأول في باريس 1913 وجذور المطالب القومية"، مقال بحثي، مجلة أسطور للدراسات التاريخية، ع 12 (يوليو 2020): ص 44.

[2] محمد عزة دروزة، حول الحركة العربية الحديثة: مذكرات وتأملات (صيدا: المكتبة العصرية، 1950)، ج 1، ص 89

[3] أسعد داغر، مذكّراتي على هامش القضية العربية، ص 102.

واصلت فرنسا تطبيق سياسة الإدماج القسري ومصادرة الأراضي الخصبة لصالح المستوطنين الأوروبيين، وتطبيق "قانون الأهالي" الجائر الذي حرم الجزائريين من حقوقهم السياسية الأساسية وعاملهم كرعايا لا كمواطنين، في محاولة لطمس الشخصية العربية والإسلامية للبلاد[1].

وفي تونس والمغرب، اتبع الاستعمار الفرنسي نظام "الحماية(Protectorate) "، وهو نظام حافظ ظاهرياً على الكيانات السياسية التقليدية (الباي في تونس، والسلطان في المغرب) كواجهات شرعية، بينما تركزت السلطة الفعلية والقرارات الإستراتيجية والمالية في أيدي المقيم العام الفرنسي وأجهزته الإدارية الكولونيالية التي عملت على إعادة صياغة الاقتصاد المحلي لخدمة مصالح باريس. أما في ليبيا، فقد مارست إيطاليا سياسة استعمارية عنيفة وفاشية مبكرة عقب غزوها عام 1911، ركزت على السيطرة العسكرية وتهميش النخب المحلية، مما دفع بالبلاد إلى أتون حرب تحرير شعبية مريرة. حرم هذا الحصار الكولونيالي المطبق شعوب المغرب العربي من إمكانية صياغة حراك سياسي قومي علني مماثل لما حدث في المشرق، إلا أنه غرس بذور مقاومات وطنية عنيدة تبلورت بوضوح في المراحل اللاحقة[2].

ثامنا: القيادات التقليدية وتعدد الولاءات السياسية في الجزيرة العربية والخليج

شكلت الجزيرة العربية والخليج العربي حالة جيوسياسية فرنسية وفريدة داخل المشهد العربي قبيل الحرب؛ حيث تميزت بغياب الإدارة البيروقراطية العثمانية المباشرة وهيمنة القيادات التقليدية والزعامات المحلية (العشائرية والأسرية) التي كانت تتحرك في فضاء سياسي يتسم بتعدد الولاءات البينية والتقاطعات الإستراتيجية مع القوى الخارجية. كان هذا المشهد ينقسم إلى عدة محاور وقوى متنافسة:

[1]" الوضع السياسي للوطن العربي قبيل الحرب العالمية الأولى"، محاضرات في مادة وطن عربي حديث ومعاصر، منشورات جامعة محمد الخامس، ص 5

[2] مزدلفة بركات، "آثار الحرب العالمية الأولى على أوروبا والوطن العربي" (مذكرة ماستر، كلية العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2016)، ص 34

القوة المحلية القائد البارز طبيعة الولاء والتحالفات الإستراتيجية عشية عام 1914

إمارة مكة المكرمة (الحجاز) الشريف حسين بن علي خضوع اسمي للدولة العثمانية مع توجس حاد من سياسات الاتحاديين المركزية؛ وبداية اتصالات سرية استكشافية مع بريطانيا (اتصالات الأمير عبد الله مع اللورد كيتشنر في القاهرة)[1].

إمارة نجد (وسط الجزيرة) الأمير عبد العزيز آل سعود نجح في استعادة الرياض وضمت الإحساء عام 1913 مستغلاً الضعف العثماني؛ وحافظ على توازن دقيق بين مواجهة العثمانيين وحلفائهم آل رشيد، والتقارب بحذر مع بريطانيا لتأمين إمارته الناشئة[2].

إمارة حائل (جبل شمر) آل رشيد تحالف وثيق وعسكري مع الدولة العثمانية، حيث شكلوا ذراع الأستانة الضاربة في وسط الجزيرة لمواجهة التمدد السعودي[3].

إمارات الساحل الخليجي وعدن مشايخ وسلاطين الخليج خضوع كامل لشبكة من "معاهدات الحماية" والاتفاقيات السياسية الصارمة مع بريطانيا (مثل معاهدة 1892 مع إمارات الساحل المتصالح)، مما جعل الخليج بمثابة "بحيرة بريطانية مغلقة" معزولة عن أي نفوذ عثماني أو ألماني.

هذا التفتت السياسي وتعدد الولاءات جعل من الجزيرة العربية ساحة مكشوفة للاستقطاب الدولي؛ حيث وظفت بريطانيا والدولة العثمانية هذه الخصومات المحلية لخدمة مصالحهما الإستراتيجية، مما تسبب في جعل مواقف هذه القيادات متباينة بشكل حاد عند اندلاع الحرب العالمية الأولى بين مساند للمحور ومحالف للحلفاء.

تاسعا: التنافس الأوروبي على المنطقة العربية: صراع سايكس–بيكو

لم يكن الواقع السياسي للعالم العربي بمعزل عن حمى السباق الإمبراطوري والصناعي الذي قسّم أوروبا إلى معسكرين؛ بل كان المشرق العربي على وجه الخصوص يمثل الجائزة

[1] أمين الريحاني، ملوك العرب، ص 142.
[2] محمد حرب، الشرق الأوسط والقرن العشرون (بيروت: دار الطليعة للنشر، 1995)، ص 112.
[3] المصدر نفسه، ص 115.

الكبرى التي تسابقت القوى العظمى لحجز حصصها فيها فوق جسد الإمبراطورية العثمانية المتداعية. تبلور هذا التنافس في شكل صراع دبلوماسي واقتصادي مستتر حول مناطق النفوذ ومد خطوط السكك الحديدية والحصول على الامتيازات النفطية والتجارية في العراق وبلاد الشام[1].

كانت فرنسا ترى في بلاد الشام، وتحديداً سوريا ولبنان، امتداداً تاريخياً وثقافياً واقتصادياً لنفوذها التقليدي في حوض البحر الأبيض المتوسط، وتطمح لفرض حمايتها المباشرة عليها عند انهيار السلطنة. في المقابل، ركزت بريطانيا كل ثقلها الدبلوماسي لحماية خطوط مواصلاتها الإمبراطورية في الخليج العربي ومصر، والسعي لتأمين النفوذ في ولاية البصرة والعراق لضمان أمن حقول النفط الناشئة في عبادان التابعة لشركة النفط الأنجلو–فارسية.[2] هذا التكالب الدولي المكتوم، والذي تداخلت فيه أيضاً الطموحات الألمانية عبر مشروع سكة حديد بغداد، شكل الأرضية الخصبة والمدخل التحضيري للمفاوضات السرية التي خاضتها القوى الكبرى فور اندلاع الحرب، والتي تجسدت لاحقاً في اتفاقية "سايكس–بيكو" عام 1916، مما يثبت أن تقاسم العالم العربي لم يكن وليد الحرب، بل كان مخططاً إستراتيجياً جرى إعداد مسوداته في روقة الدبلوماسية الأوروبية قبيل عام 1914[3].

[1]" التغلغل الألماني في المشرق العربي قبيل الحرب العالمية الأولى"، منصة منظومة المنهل للأبحاث والدراسات، مج 8، ع 2 (2012): ص 128

[2]" تطور الصراع الفرنسي–البريطاني على المشرق العربي"، ، مج 4، ع 1 (2019): ص 95.

[3] مجموعة مؤلفين، مئة عام على الحرب العالمية الأولى: مقاربات عربية، المجلد الأول، ص 201.

الفصل الأول :
اندلاع الحرب العالمية الأولى وبداية المواجهة

تمهيد:

إذا كانت الظروف الجيوسياسية والتجاذبات الإمبريالية التي شهدها العالم قُبيل عام 1914م قد شكلت البيئة الهيكلية الحاضنة للأزمة، فإن الانتقال من حالة "السلم المسلح" والتوتر الدبلوماسي المتصاعد إلى مرحلة الصدام العسكري المباشر يمثل المنعطف الحاسم الذي غيّر مجرى التاريخ الحديث، وزج بالبشرية في أتون أول حرب شمولية عرفها العصر المعاصر. إن دراسة هذا الفصل تكتسي أهمية بالغة في بنية المذكرة؛ كونها تمثل الجسر الرابط بين التحولات السياسية النظرية، والواقع الميداني العملي الذي أفرز لاحقاً ظاهرة "الأسرى العرب" في مختلف جبهات القتال العالمية. بناءً على هذا التصور المنهجي، يسعى هذا الفصل إلى تفكيك آليات تفجر الصراع المسلح، وتتبع مساراته العسكرية الحاسمة، ورصد قنوات انخراط العنصر العربي فيه.

وتستوجب القراءة الأكاديمية الرصينة بدءاً، التمييز الدقيق بين الدوافع العميقة المتجذرة في بنية النظام الدولي آنذاك، وبين الشرارة المباشرة التي فجرت الموقف؛ حيث تضافرت النزاعات القومية، وسباق التسلح غير المنضبط، والأطماع الاستعمارية في الاستحواذ على الأسواق والمجالات الحيوية، لتجعل من حادثة اغتيال ولي عهد النمسا الأرشيدوق "فرانز فرديناند" في سراييفو بمثابة الذريعة التي تهاوت إثرها الضمانات الدبلوماسية، وتفعلت بموجبها شبكة الأحلاف العسكرية المتشابكة، مما قاد الدول العظمى نحو مواجهة حتمية لم يكن من الممكن احتواؤها أو عزلها جغرافياً.

ولم يقف هذا الصدام عند حدوده السياسية الأولى، بل سرعان ما تحول إلى مواجهة عسكرية ممتدة تميزت بـــديناميكية عالية في سير المعارك وبناء التحالفات وتغيير استراتيجيات الحرب وتكتيكاتها الميدانية. فقد تحولت الجبهات العسكرية ـــــ لا سيما الجبهة الغربية في شمال فرنسا وبلجيكا، والجبهة الشرقية على تخوم الإمبراطورية الروسية ـــــ إلى مسارح لاستنزاف بشري ومادي غير مسبوق، تداخلت فيه جغرافيا الأرض بقسوة الخنادق والأسلحة

التكنولوجية الفتاكة الحديثة. هذا التحول الميداني فرض على الكتل المتحاربة (دول الوفاق ودول الوسط) توسيع رقعة تحالفاتها الدولية وجذب قوى جديدة إلى ميدان الصراع، سياً وراء حسم النتيجة العسكرية وتأمين تفوق استراتيجي في البحار والمضائق الحيوية.

وفي خضم هذا المشهد العسكري المعقد، لم يجد العالم العربي نفسه بمنأى عن هذا الصراع؛ بل سُحبت مجتمعاته قسراً إلى قلب الإستراتيجيات الحربية للقوى العظمى، لتبدأ مرحلة "دخول الجنود العرب ميدان المعارك". لقد تباينت قنوات هذا الدخول تتبعاً للواقع السياسي المفروض على الجغرافيا العربية؛ فبينما تحول شبان المشرق العربي (في الشام، والعراق، والحجاز) إلى وقود لجبهات الدفاع العثمانية بموجب قوانين التعبئة العامة و"السفربرلك"، كان أبناء المغرب العربي (الجزائر، تونس، المغرب) ومصر يُساقون عبر قوارب الموت نحو الجبهات الأوروبية كجنود ومجندين في صفوف الجيوش الفرنسية والبريطانية.

إن هذا الانخراط المتعدد الجبهات والولاءات القسرية للعنصر العربي لم يكن مجرد مشاركة عسكرية عابرة، بل كان الطريقة المباشرة التي جعلت هؤلاء المقاتلين في خطوط المواجهة الأولى، مما أدى بالضرورة إلى وقوع آلاف منهم في شباك الأسر والاعتقال لدى الدول المتحاربة. ومن هذا المنطلق، يهدف هذا الفصل عبر مباحثه الثلاثة المترابطة إلى تقديم تشريح علمي دقيق لـــظروف اندلاع الحرب الكونية الأولى، وتتبع خطوط سير معاركها الكبرى، وصولاً إلى تسليط الضوء على الآليات العسكرية والسياسية التي قادت الجنود العرب إلى ساحات الوغى، ممهدةً الطريق لفهم معاناتهم اللاحقة داخل معسكرات الأسر.

المبحث الأول: دوافع اندلاع الحرب

لم يكن انفجار الحرب العالمية الأولى (1914–1918) مجرد حدث عسكري عابر أو صدام حدودي مؤقت، بل كان تعبيراً بنيوياً عن أزمة عميقة ضربت المنظومة الدولية التي تشكلت عبر القرن التاسع عشر. لقد غدت القارة الأوروبية عشية عام 1914 بمثابة حقل ألغام دبلوماسي واقتصادي قابلاً للاشتعال عند أي احتكاك، نتيجة لتشابك مفرط بين التحالفات السرية، وحمى التسلح غير المسبوقة، والتنافس الاستعماري المحموم لإعادة تقسيم العالم والسيطرة على مقدرات الشعوب، لا سيما في مناطق النفوذ الحيوية كالمشرق والمغرب العربيَّين.

يهدف هذا المبحث إلى تتبع وتفكيك الدوافع والملابسات الجوهرية التي قادت القوى العظمى إلى أتون هذه الحرب الشاملة. وسينقسم الطرح إلى مسارات تحليلية معمقة؛ تبدأ برصد انهيار التوازن الدولي وولادة نظام الأحلاف العسكرية المغلقة، مروراً بالدوافع الرأسمالية والتنافس الإمبريالي الشرس على المستعمرات والمنافذ الإستراتيجية (مع إضاءة نقدية على تصحيح الرواية المركزية الأوروبية وربطها بالاعتداءات على المنطقة العربية كليبيا والمغرب). كما يبحث في أثر عسكرة المجتمعات وسباق التسلح البري والبحري، وتصاعد أزمات البلقان والمسألة الشرقية، وصولاً إلى قراءة تحليلية لأزمة يوليو الدبلوماسية والشرارة المباشرة للاغتيال في سراييفو، اعتماداً على أدبيات معاصرة ودراسات أكاديمية محكمة.

أولا: نظام الأحلاف العسكرية

أرسى "مؤتمر فيينا" عام 1815 ركائز ما عُرف بـــ "التوازن الدولي" أو "الوفاق الأوروبي" الرامي إلى منع انفراد دولة واحدة بالسيطرة على مقدرات القارة. إلا أن هذا النظام تعرض لاهتزازات بنيوية عنيفة عقب الوحدة الإيطالية والوحدة الألمانية عام 1871، حيث صعدت

إمبراطورية ألمانية فتيّة ومتفوقة صناعياً وعسكرياً في قلب أوروبا، مخلّةً بالثقل الجيوسياسي التقليدي الذي كانت تتزعمه بريطانيا وفرنسا[1].

تحت قيادة المستشار الألماني أوتو فون بيسمارك، دارت الدبلوماسية الأوروبية في فلك "تأمين الوحدة الألمانية" وعزل فرنسا دولياً للحيلولة دون ثأرها لاستعادة إقليمي الالزاس واللورين. نتج عن هذه الرؤية ولادة نظام من الأحلاف العسكرية السرية والمغلقة التي قسّمت القارة إلى كتلتين متصلبتين[2]:

الحلف الثلاثي :(Triple Alliance) وتشكّل كنواة صلبة عبر التحالف الثنائي بين ألمانيا والنمسا–المجر عام 1879، والذي استند إلى روابط عرقية وإستراتيجية مشتركة لصد النفوذ الروسي في البلقان، ثم تعزز بانضمام إيطاليا عام 1882 مستغلةً التوتر مع فرنسا حول تونس[3].

الوفاق الثلاثي :(Triple Entente) وتأسس كجبهة دفاعية مضادة لكسر الطوق الألماني. بدأت أولى حلقاته بالتحالف الفرنسي–الروسي عام 1894، والذي وضع ألمانيا بين فكي كماشة شرقية وغربية. تلا ذلك "الوفاق الودي" البريطاني–الفرنسي عام 1904 الذي سوّى النزاعات الاستعمارية التاريخية، واكتمل الكيان الدبلوماسي بالاتفاق البريطاني–الروسي عام 1907 لتحديد مناطق النفوذ في آسيا[4].

تحول هذا النظام التكتلي المغلق من أداة لحفظ السلام عن طريق الردع المتبادل إلى آلية لتسريع الحرب؛ إذ ألغى مرونة المناورة الدبلوماسية، وباتت القوى العظمى مجبرة على مجاراة حلفائها في أي نزاع إقليمي، مهما كان محدوداً، خشية انهيار الحلف بأكمله[5].

[1] عبد الفتاح أبو علية وإسماعيل أحمد ياغي، تاريخ أوربا الحديث والمعاصر (المدينة المنورة: دار الزمان للنشر والتوزيع، 2023)، ص 285.
[2] عمر عبد العزيز عمر، تاريخ أوربا الحديث والمعاصر (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1999)، ص 342
[3] عبد العزيز سليمان نوار ومحمود محمد جمال الدين، التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى (القاهرة: دار الفكر العربي، 1999)، ص 411.
[4] عمر الديراوي، الحرب العالمية الأولى (بيروت: دار العلم للملايين، طبعات متعددة)، ص 18-20
[5] مجموعة مؤلفين، مئة عام على الحرب العالمية الأولى: مقاربات عربية، المجلد الأول: الأسباب والسياقات والتداعيات (الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2016)، ص 37.

ثانيا: التنافس الاستعماري والاقتصادي بين الدول الكبرى

شكل التطور الهائل للثورة الصناعية الثانية وما رافقه من تحولات في بنية النظام الرأسمالية العالمي المحرك الجوهري للاستعمار الحديث (الإمبريالية). لم يعد الهدف مجرد السيطرة التجارية، بل اندفعت الاحتكارات والشركات المالية الكبرى بدعم من حكوماتها للسيطرة على مصادر المواد الخام الأساسية (النفط، الحديد، القطن)، والبحث عن أسواق استهلاكية جديدة لتصريف فائض الإنتاج، فضلاً عن إيجاد قنوات آمنة لاستثمار رؤوس الأموال الفائضة[1].

أنتجت هذه الديناميكية الرأسمالية نمطاً عنيفاً من التنافس الإمبريالي لإعادة تقاسم المستعمرات حول العالم؛ فنظراً لأن بريطانيا وفرنسا كانتا قد بسطتا نفوذهما على المساحات الأكبر من الكوكب، شعرت ألمانيا بالغبن والاقصاء الجيوسياسي بعد تصاعد قوتها الصناعية التي فاقت بريطانيا داخلياً.[2] تبنى الإمبراطور فيلهلم الثاني إستراتيجية "السياسة العالمية " (Weltpolitik)للمطالبة بـــ "مكان تحت الشمس" لألمانيا، وهو ما أدى إلى احتكاكات دبلوماسية حادة مع الإمبراطورية البريطانية التي كانت تهيمن على التجارة والبحار العالمية، ومع فرنسا الطامحة لمد نفوذها الكولونيالي.[3] تجلى هذا التنافس الاقتصادي في أزمات حادة كأزمتي المغرب (طنجة 1905 وأغادير 1911)، حيث حاولت ألمانيا إيجاد موطئ قدم لها في شمال إفريقيا ومزاحمة باريس، مما وضع أوروبا على حافة الصدام المسلح وأسهم في توطيد عرى الوفاق الودي بين بريطانيا وفرنسا[4].

ولم يقتصر هذا التنافس على القارة الإفريقية، بل امتد ليتخذ شكلاً جيوسياسياً خطيراً في المشرق العربي من خلال التنافس على الصفقات والمشاريع الاقتصادية الضخمة؛ حيث

[1] مجموعة مؤلفين، مئة عام على الحرب الكبرى 1914–1920: السلام متى ربيعه؟ (جبيل: المركز الدولي لعلوم الإنسان – اليونسكو، 2015)، ص 63.

[2] عبد الرحمن الرافعي، العرب والحرب العالمية الأولى (القاهرة: دار المعارف، طبعات قديمة)، ص 12-15.

[3] عمر عبد العزيز عمر، تاريخ أوربا الحديث والمعاصر، ص 360.

[4] عبد الفتاح أبو علية وإسماعيل أحمد ياغي، تاريخ أوربا الحديث والمعاصر، ص 299.

شكّل مشروع سكة حديد بغداد (برلين–بغداد) الممول برؤوس أموال ألمانية قلقاً إستراتيجياً عميقاً لبريطانيا وروسيا، كونه يهدد خطوط المواصلات البريطانية نحو الهند ويمنح النفوذ الألماني موطئ قدم اقتصادي وعسكري مباشر على خاصرة الخليج العربي والمشرق الغني بالنفط الواعد[1].

ثالثا: أهمية المنطقة العربية في حسابات الدول الأوروبية

تقدم القراءات التاريخية المعاصرة تصحيحاً هاماً للرواية الكلاسيكية المركزية الأوروبية التي تختزل دوافع الحرب العالمية الأولى في أزمة اغتيال سراييفو والصراعات داخل القارة العجوز فحسب؛ إذ تُظهر الأبحاث العربية الحديثة أن الحرب العالمية الأولى كانت، في أحد وجوهها الجوهرية، نتيجة لتراكم الاعتداءات والصدامات الإمبريالية التي وقعت فوق الجغرافيا العربية والإسلامية قبيل عام 1914، والتي كانت بمثابة حقول تجارب وتمهيد جيوسياسي للانفجار الكبير[2].

فقد كان التكالب على تركة الدولة العثمانية ("الرجل المريض") في المشرق والمغرب العربي مؤشراً على عجز المنظومة الدولية عن ضبط أطماعها. ويمثل الاجتياح الإيطالي لليبيا عام 1911 حلقة مفصلية؛ إذ كشف هذا الاعتداء ضعف القدرات العسكرية العثمانية، وشجع دول البلقان لاحقاً على التجرؤ على السلطنة، فضلاً عن كونه أثار حفيظة القوى الأخرى حول إعادة توزيع القوى في حوض البحر الأبيض المتوسط.[3] وبالمثل، فإن الصراع الألماني–الفرنسي حول المغرب الأقصى عكس كيف تحولت الممرات والأقاليم العربية إلى أوراق ضغط دبلوماسية واقتصادية لتصفية الحسابات بين العواصم الأوروبية[4].

[1] هاشم صالح التكريتي، "التغلغل الألماني في المشرق العربي قبيل الحرب العالمية الأولى"، مجلة المؤرخ العربي، العدد 27، ص 45-48.
[2] رشيد خشانة (محرر)، الطريق إلى سايكس–بيكو: الحرب العالمية الأولى بعيون عربية (بيروت: مركز الجزيرة للدراسات والدار العربية للعلوم ناشرون، 2016)، ص 24.
[3] المصدر نفسه، ص 29.
[4]" الحرب العالمية الأولى.. الأسباب والأطراف والنتائج"، موسوعة الجزيرة،

بالتوازي مع هذه الأطماع الخارجية، كانت البيئة السياسية الداخلية للدولة العثمانية تغلي؛ حيث أدى صعود جمعية الاتحاد والترقي وسياساتها المركزية المتشددة إلى تعميق الفجوة مع النخب والجمعيات العربية التي بدأت تطالب باللامركزية وحقوقها القومية.[1] هذا التوتر الداخلي، مقروناً بالتغلغل الألماني الاقتصادي والعسكري داخل البلاط العثماني، جعل الولايات العربية ساحة مشحونة وقابلة للانفجار، ودفع بالدولة العثمانية تدريجياً نحو الارتماء في الأحضان الألمانية لمواجهة التهديدات الروسية والبريطانية المستمرة لأراضيها.[2] إن هذا التنافس المحموم على الجغرافيا العربية –بما يمتلكه من موقع إستراتيجي وثروات كامنة وصراعات سياسية داخلية– لم يكن مجرد صدى للأزمات الأوروبية، بل كان دافعاً أصيلاً ومحركاً لتعميق حدة الاستقطاب وبناء التكتلات العسكرية التي فجرت الحرب عام 1914[3].

رابعا : السباق نحو التسلح

توازى التنافس الاقتصادي والسياسي مع تنامٍ مخيف لـــ "النزعة العسكرية" (Militarism)داخل المجتمعات الأوروبية، حيث تغلغلت النخب العسكرية في مفاصل صناعة القرار السياسي، وجرى الترويج عبر وسائل الإعلام والمؤسسات التعليمية لفكرة أن الحرب وسيلة حتمية ومقدسة لإثبات التفوق القومي وحل المعضلات الدبلوماسية وتفريغ الأزمات الاجتماعية الداخلية.[4] تحول هذا الفكر إلى واقع مادي عبر سباق تسلح كمي ونوعي غير مسبوق بين المعسكرين.

وعلى الصعيد البري، تبنت القوى الكبرى (باستثناء بريطانيا) قوانين الخدمة العسكرية الإلزامية العامة وتمديد فتراتها، مما أدى إلى تضاعف حجم الجيوش النظامية المجهزة

[1] جورج أنطونيوس، يقظة العرب: تاريخ حركة العرب القومية، تر. ناصر الدين الأسد وإحسان عباس (بيروت: دار العلم للملايين، 1987)، ص 142-146.

[2] أسعد داغر، مذكراتي على هامش القضية العربية (بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2020)، ص 88-92.

[3] [زيان رقية، "موقف الأمة العربية من الحرب العالمية الأولى (1914–1918م)" (مذكرة ماستر، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، 2025)، ص 41.

[4] عمر الديراوي، الحرب العالمية الأولى، ص 32.

بأحدث ترسانات المدفعية والأسلحة الفتاكة.[1] أما على الصعيد البحري، فقد خاضت بريطانيا وألمانيا منافسة محمومة لبناء البوارج الحربية الضخمة من طراز(Dreadnought) ؛ إذ اعتبرت لندن بناء ألمانيا لأسطول بحري قوي تهديداً مباشراً لسيادتها التقليدية على البحار وأمن إمبراطوريتها العالمية وعمقها الحيوي، مما خلق حالة من "المعضلة الأمنية" (Security Dilemma)التي جعلت الطرفين يستنفران قواهما الصناعية استعداداً للحرب[2].

ارتبط هذا التسلح بوضع خطط عسكرية هجومية بالغة التعقيد والصلابة (مثل خطة شليفن الألمانية وخطة 17 الفرنسية) قائمة على السرعة والمبادأة وجداول زمنية صارمة للتعبئة العامة. أصبحت هذه الخطط بمثابة آلات أوتوماتيكية؛ فبمجرد إعلان أي دولة للتعبئة العامة، كان يُنظر إلى الأمر من قِبل الأطراف الأخرى كخطر داكن وإعلان حرب فعلي لا يمكن التراجع عنه، مما سحب البساط من تحت أقدام الدبلوماسيين والسياسيين في اللحظات الحرجة لصالح الجنرالات[3].

خامسا : أزمات البلقان وتراجع الدولة العثمانية

شكل تفكك السيطرة العثمانية على أقاليمها في شبه جزيرة البلقان، وما رافقه من صراع القوى العظمى لملء الفراغ الجيوسياسي الناتج عن هذا التراجع العسكري (المعروف بالمسألة الشرقية)، الدافع الإقليمي الأكثر خطورة لعزوف السلم الدولي وتفخيخ الاستقرار في القارة.[4] تحولت منطقة البلقان إلى "برميل بارود" أوروبا نتيجة لتقاطع حاد بين النزعات القومية التحررية لشعوب المنطقة (كالصرب واليونانيين في أوروبا، والتي تزامنت مع

[1] عبد العزيز سليمان نوار ومحمود محمد جمال الدين، التاريخ الأوروبي الحديث، ص 428.
[2] محمد نعمة حسن، "سباق التسلح البحري بين ألمانيا وبريطانيا قبيل الحرب العالمية الأولى"، مجلة المؤرخ العربي، المجلد 17، العدد 17 (2009)، ص 112-115.
[3] مجموعة مؤلفين، مئة عام على الحرب العالمية الأولى: مقاربات عربية، ص 84.
[4] ساطع الحصري (أبو خلدون)، البلاد العربية والدولة العثمانية (بيروت: دار العلم للملايين، 1960)، ص 204.

تنامي اليقظة والنزعات القومية المماثلة في الولايات العربية للتحرر من المركز)[1] والأطماع الإمبراطورية الكبرى.

تبنت الإمبراطورية الروسية القيصرية شعار "الجامعة السلافية" لدعم طموحات صربيا في بناء دولة موحدة في البلقان، مستهدفةً من وراء ذلك إيجاد ركيزة لنفوذها والوصول إلى المياه الدافئة عبر المضائق البحرية العثمانية (الدردنيل والبسفور).[2] في المقابل، كانت إمبراطورية النمسا–المجر تنظر إلى تنامي القومية السلافية والتحريض الصربي كتهديد وجودي مباشر لتماسك بنيتها الإمبراطورية المتعددة الأعراق والتي تضم ملايين السلاف. تفجرت الأوضاع عبر سلسلتين من الأزمات العنيفة[3]:

أزمة ضم البوسنة والهرسك (1908): عندما استغلت فيينا الضعف العثماني وأعلنت ضم الإقليم رسمياً، مما أثار حنق صربيا وروسيا وكاد يدفع نحو الحرب لولا تراجع الأخيرة لعدم جاهزيتها العسكرية.

حربا البلقان (1912–1913): واللتان أسفرتا عن تصفية الوجود العثماني في معظم الأقاليم الأوروبية وتعاظم مساحة وقوة صربيا، مما زاد من قناعة النمسا بضرورة توجيه ضربة عسكرية استباقية وقاصمة لارتقاء صربيا قبل أن يتسع خطرها[4].

سادسا: السبب المباشر للحرب (حادثة سراييفو)

وسط هذه البيئة الدولية المشحونة بالتربص والعداء الكامن، جاءت الذريعة والسبب المباشر للحرب في 28 يونيو 1914، أثناء زيارة رسمية قام بها أرشيدوق النمسا "فرانز فرديناند" (ولي عهد الإمبراطورية النمساوية–المجرية) لمدينة سراييفو عاصمة البوسنة والهرسك. أقدم الطالب الصربي البوسني "غافريلو برينسيب" –العضو في منظمة "اليد

[1] جورج أنطونيوس، يقظة العرب، ص 155.
[2] وليام ميلر، الدولة العثمانية والشرق الأدنى، تر. عبد الله عاصي (بيروت: منشورات المكتبة العصرية، 1971)، ص 310-312.
[3] عمر عبد العزيز عمر، تاريخ أوربا الحديث والمعاصر، ص 385.
[4] عبد الفتاح أبو علية وإسماعيل أحمد ياغي، تاريخ أوربا الحديث والمعاصر، ص 314-316.

السوداء" القومية المتطرفة المطالبة بالانفصال والوحدة مع صربيا– على اغتيال الأرشيدوق وزوجته رمياً بالرصاص[1].

حمّلت حكومة النمسا–المجر صربيا المسؤولية السياسية والجنائية المباشرة عن الحادثة، واعتبرتها الفرصة التاريخية المواتية لتدمير النفوذ الصربي في البلقان بضربة واحدة. وبعد حصولها على دعم مطلق وضمانة عسكرية كاملة ("الشيك على البياض") من حليفتها ألمانيا، وجهت فيينا في 23 يوليو 1914 إنذاراً نهائياً ومذلاً لبلغراد يتضمن بنوداً صارمة تمس بالسيادة الوطنية، بما في ذلك السماح للشرطة النمساوية بالتحقيق داخل الأراضي الصربية.[2] ورغم قبول صربيا لمعظم البنود بمرونة واضحة، إلا أن النمسا رفضت الرد وأعلنت الحرب رسمياً عليها في 28 يوليو 1914، وبدأت بقصف بلغراد.

تحركت آليات الأحلاف العسكرية بشكل متسارع وتلقائي خارج نطاق السيطرة الدبلوماسية؛ أعلنت روسيا القيصرية التعبئة العامة لحماية صربيا وحفظ هيبتها في البلقان، فردت ألمانيا بإعلان الحرب على روسيا في 1 أغسطس، ثم على فرنسا في 3 أغسطس مفعّلةً "خطة شليفن" عبر اجتياح الأراضي البلجيكية المحايدة لتطويق باريس. شكل انتهاك الحياد البلجيكي الذريعة القانونية والإستراتيجية لبريطانيا لتعلن الحرب على ألمانيا في 4 أغسطس 1914، لتدخل القوى العظمى بأكملها في صراع كوني دمر التوازن الأوروبي القديم وامتد لهيبه سريعاً ليمزق أوصال العالم العربي[3].

[1] عمر الديراويInternally cited ، الحرب العالمية الأولى، ص 45.
[2] مجموعة مؤلفين، مئة عام على الحرب الكبرى 1914–1920: السلام متى ربيعه؟، ص 92.
[3] رشيد خشانة، الطريق إلى سايكس–بيكو، ص 54.

المبحث الثاني: سير المعارك وبناء التحالفات

تجاوزت الحرب العالمية الأولى (1914–1918) في مساراتها الميدانية والعملياتية كافة الحسابات التقليدية التي وضعتها هيئات الأركان العامة للدول المتحاربة؛ إذ ساد الاعتقاد لدى القادة العسكريين والسياسيين في عواصم القوى العظمى أن الصراع سيكون عبارة عن جولات خاطفة ومحسومة تنتهي بعودة الجنود إلى ديارهم قبل حلول أعياد الميلاد عام 1914. غير أن الواقع الميداني سرعان ما صدم هذه التصورات، متحولاً إلى أطول وأعنف حرب استنزاف عرفتها البشرية حتى ذلك الوقت، حيث وظفت فيها منجزات الثورة الصناعية الثانية لإنتاج ترسانات فتاكة قادرة على الإبادة الجماعية.

يتسع هذا المبحث ليقدم رصداً شاملاً ومفصلاً للمسرح العملياتي والدبلوماسي للحرب الكبرى عبر ثلاثة أبعاد أساسية؛ يتناول الأول جبهات القتال الرئيسية في أوروبا (الغربية والشرقية) ممتداً نحو تفاصيل المعارك الكبرى التي طحنت ملايين الجنود، ويحلل الثاني الامتداد الجيوسياسي والعملياتي للحرب داخل جغرافيا المشرق والمغرب العربيَّين عقب دخول الدولة العثمانية المعترك العسكري، بينما يتقصى البعد الثالث ديناميكية الاتصالات الدبلوماسية وسعي كل معسكر الدؤوب لتوسيع شبكة تحالفاته الدولية لجذب طاقات بشرية واقتصاديّة جديدة أسهمت في تبدل موازين القوى وصياغة المشهد الختامي للصراع، اعتماداً على أدبيات تاريخية رصينة ودراسات أكاديمية محكّمة.

أولا : جبهات القتال الرئيسية في القارة الأوروبية

فور اندلاع شرارة الحرب في أغسطس 1914، توزعت العمليات العسكرية على مسارح قتالية شاسعة، لكن الثقل العسكري الحاسم تركز في جبهتين إستراتيجيتين داخل القارة العجوز قادتا مسار الاستنزاف الكمي والنوعي طيلة سنوات الصراع:

أ. الجبهة الغربية و حرب الخنادق

تمثلت الجبهة الغربية في الخط الجغرافي الطويل والممتد من شواطئ بحر الشمال صعوداً، مروراً بالأراضي البلجيكية وشمال فرنسا، وصولاً إلى الحدود السويسرية الحرة. استهلت القيادة العسكرية الألمانية الحرب بتطبيق صارم واندفاعي لـــ "خطة شليفن " (Schlieffen Plan)، وهي الإستراتيجية التي وضعها رئيس أركان الجيش الأسبق الكونت ألفريد فون شليفن، وتقوم على فكرة توجيه ضربة قاضية وخاطفة لفرنسا عبر اجتياح الأراضي البلجيكية المحايدة والالتفاف حول باريس لحسم الجبهة الغربية في غضون أسابيع قليلة، وذلك قبل أن تتمكن الإمبراطورية الروسية –المتخلفة صناعياً– من استكمال تعبئتها العامة والزحف نحو الحدود الشرقية لألمانيا[1].

إلا أن هذا الاندفاع الألماني اصطدم بعقبات ميدانية غير متوقعة؛ حيث أبدت المقاومة البلجيكية صموداً أخر المدد الزمني للخطة، وتدخلت القوة البعثية البريطانية فوراً لحماية الحياد البلجيكي، وصولاً إلى المواجهة الإستراتيجية الكبرى في معركة المارن الأولى (سبتمبر 1914). في هذه المعركة، نجحت القوات الفرنسية بقيادة الجنرال جوزيف جوفر، وبإسناد بريطاني، في وقف التقدم الألماني على أعتاب باريس وإجباره على التراجع خلف نهر عين[2].

أدى هذا الفشل الإستراتيجي لخطة شليفن إلى دخول الجبهة الغربية في طور تاريخي جديد عُرف بـــ "السباق نحو البحر"، حيث حاول كل جيش الالتفاف حول جناح الآخر حتى استقرت الخطوط تماماً وتحولت الحرب من "حرب حركة" سريعة إلى "حرب خنادق " (Trenches War)ثابتة وصلبة. حفر الجنود شبكات معقدة من الخنادق المحمية بالأسلاك الشائكة وحقول الألغام ومدافع الرشاشات، وغدت العمليات العسكرية قائمة على فكرة

[1] عمر عبد العزيز عمر، تاريخ أوربا الحديث والمعاصر (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1999)، ص 402.
[2] عبد العزيز سليمان نوار ومحمود محمد جمال الدين، التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى (القاهرة: دار الفكر العربي، 1999)، ص 440.

"الاستنزاف البشري والمادي"؛ حيث يقضي آلاف الجنود لأسابيع من أجل السيطرة على بضعة أمتار من الوحل في المنطقة الفاصلة المعروفة بـــ "الأرض الحرام[1]) "

بلغ هذا الطور الاستنزافي ذروته الكارثية في عام 1916 عبر معركتين هائلتين:

معركة فردان (فبراير – ديسمبر 1916): شن الجيش الألماني هجوماً واسعاً على القلاع الفرنسية المحصنة في فردان بهدف "نزف الجيش الفرنسي حتى الموت" كما عبر قائد الأركان الألماني إريش فون فالكنهاين. تحولت فردان إلى رمز للصمود القومي الفرنسي تحت شعار "لن يمروا"، وانتهت المعركة بعد عشرة أشهر من القتال الضاري دون تغيير في المواقع، ولكن بتكلفة بشرية مرعبة تجاوزت 700 ألف قتيل وجريح من الطرفين[2].

معركة السوم (يوليو – نوفمبر 1916): رداً على الضغط الألماني في فردان، شنت الجيوش البريطانية والفرنسية هجوماً مضاداً منسقاً عند نهر السوم. تميزت هذه المعركة بكونها الميدان الأول الذي شهد دخول الدبابات الحربية (المدرعات البريطانية) إلى مسرح القتال للتغلب على الأسلاك الشائكة والخنادق. تكبدت بريطانيا في اليوم الأول وحده قرابة 60 ألف إصابة، وعندما توقفت المعركة مع حلول الشتاء، كان إجمالي الخسائر البشرية قد تخطى حاجز المليون ضحية، مما جعلها واحدة من أدمى المعارك في التاريخ الإنساني[3].

ب. الجبهة الشرقية وحرب الحركة المفتوحة

وعلى النقيض تماماً من النمط الثابت والخنادق المظلمة في الغرب، تميزت الجبهة الشرقية باتساعها الجغرافي الهائل وامتداد مسارحها من بحر البلطيق شمالاً إلى البحر الأسود وجبال الكربات جنوباً، مشكلةً ميدان الصراع المباشر بين الإمبراطورية الألمانية والنمساوية–المجرية (دول الوسط) ضد الإمبراطورية الروسية القيصرية (دول الوفاق).

[1] عمر الديراوي، الحرب العالمية الأولى (بيروت: دار العلم للملايين، طبعات متعددة)، ص 52-56.
[2] هشام البطل، الحرب العالمية الأولى (عمان: دار الأيام للنشر، 2018)، ص 95-98.
[3] محمد بركات ,معاركالحرب العالمية الأولى : مذابح الرجال و حرائق الأموال , القاهرة , دار الكتاب العربي , 2007 , ص143-144

نظراً لضعف شبكات المواصلات والاتصالات، وتواضع البنية التحتية الصناعية في روسيا، بقيت الحرب في الشرق قائمة على نمط "حرب الحركة" والمناورات الواسعة والالتفاف الجغرافي[1].

بدأت روسيا الحرب بشن هجوم سريع ومفاجئ نحو بروسيا الشرقية لمساعدة فرنسا وتخفيف الضغط عن باريس، مما دفع القيادة الألمانية إلى استدعاء الجنرال المتقاعد بول فون هيندنبورغ وتعيين إريش لودندورف رئيساً لأركانه. التقى الجيشان في معركة تاننبرغ الشهيرة (أغسطس 1914)، حيث تمكنت العبقرية العسكرية الألمانية من تطويق الجيش الروسي الثاني وسحقه تماماً، مما أسفر عن مقتل وأسر قرابة 150 ألف جندي روسي وانتحار القائد الروسي سامسونوف[2].

تلا هذا الانتصار الساحق معركة البحيرات المازورية الأولى، والتي طردت القوات الروسية تماماً من الأراضي الألمانية. ورغم أن روسيا حققت بعض النجاحات العسكرية ضد النمسا–المجر في إقليم غاليسيا، إلا أن الدعم الألماني المستمر لفيينا عبر "هجوم غورليتز–تارنو" عام 1915 أدى إلى تراجع الجيوش الروسية لمسافات شاسعة وفقدانها لبولندا وليتوانيا. أدخل هذا الاستنزاف المستمر، والنقص الحاد في الذخائر والمؤن، الإمبراطورية الروسية في نفق مظلم من الأزمات الاقتصادية والاجتماعية التي هزت أركان النظام القيصري ومهدت لانفجار الثورة الشعبية في عام 1917[3].

ثانيا : مسرح عمليات الشرق الأوسط وتأثيره في الجغرافيا العربية

لم تكن أراضي وثروات الوطن العربي مجرد تفصيل هامشي في كواليس صراع الكبار، بل تحولت إلى جبهة إستراتيجية وعملياتية مشتعلة عقب القرار المفصلي الذي اتخذته النخبة العسكرية الحاكمة في الدولة العثمانية (بقيادة أنور باشا وطلعت باشا) بالدخول الرسمي

[1] عبد الفتاح أبو علية وإسماعيل أحمد ياغي، تاريخ أوربا الحديث والمعاصر (المدينة المنورة: دار الزمان للنشر والتوزيع، 2023)، ص 328.
[2] عمر عبد العزيز عمر، تاريخ أوربا الحديث والمعاصر، ص 408.
[3] عبد الفتاح أبو علية وإسماعيل أحمد ياغي، تاريخ أوربا الحديث والمعاصر، ص 331.

في الحرب إلى جانب معسكر ألمانيا والوسط في أكتوبر 1914، عبر قصف الموانئ الروسية في البحر الأسود.[1] فتح هذا التطور مسارح قتالية مباشرة فوق الجغرافيا العربية تداخلت فيها دماء المقاتلين المحليين بأطماع الإمبراطوريات:

أ. حملة جاليبولي وصراع المضائق(1915)

شكل الموقع الجيوسياسي لمدينة إسطنبول والمضائق البحرية العثمانية (الدردنيل والبسفور) مفتاحاً رئيسياً لخطط الحلفاء الإستراتيجية. وبمبادرة قوية من لورد الأميرالية البريطاني وينستون تشرشل، صاغ الحلفاء خطة لشن حملة بحرية وبرية ضخمة للسيطرة على مضيق الدردنيل واحتلال العاصمة العثمانية، مما يعني إخراج الدولة العثمانية من الحرب بضربة واحدة، وتأمين طريق إمداد بحري دائم ورئيسي لروسيا القيصرية المعزولة، وتعبئة دول البلقان المترددة لصالح الحلفاء[2].

بدأت الحملة بقصف بحري هائل للمدافع والتحصينات العثمانية، لكن الألغام البحرية والدفاعات الأرضية المحكمة ألحقت بالأسطول البريطاني والفرنسي خسائر فادحة أجبرتهم على التراجع. تبع ذلك إنزال بري واسع النطاق لشبه جزيرة جاليبولي (شبه جزيرة غاليــبولي) شاركت فيه قوات "الأنزاك" (القوات الأسترالية والنيوزيلندية). واجه الحلفاء صموداً عثمانياً شرساً وتنظيماً دفاعياً عبقرياً قاده العقيد مصطفى كمال (أتاتورك لاحقاً). تحولت الحملة إلى خنادق وثبات استمر شهوراً، حتى اضطر الحلفاء إلى إعلان انسحابهم الكامل في مطلع عام 1916، متكبدين فشلاً إستراتيجياً ذريعاً وخسائر بشرية فاقت ربع مليون جندي، مما عزز من هيبة الجيش العثماني وأطال أمد الحرب[3].

[1] مجموعة مؤلفين، مئة عام على الحرب العالمية الأولى: مقاربات عربية، المجلد الأول: الأسباب والسياقات والتداعيات (الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات, 2016)، ص 112.
[2] عمر الديراوي، الحرب العالمية الأولى، ص 84.
[3] المصدر نفسه، ص 87-89.

ب. جبهة سيناء وفلسطين وحملة قناة السويس

على صعيد الجبهة الجنوبية، رأت القيادة العثمانية بإيعاز من حليفتها ألمانيا ضرورة توجيه ضربة عسكرية مباشرة للشريان الحيوي للإمبراطورية البريطانية والمتمثل في قناة السويس. تولى أحمد جمال باشا (وزير البحرية العثمانية والحاكم العسكري لبلاد الشام) قيادة الجيش العثماني الرابع لشن ما عُرف بـــ "حملة الترعة" الأولى في أوائل عام 1915[1].

قطع الجيش العثماني صحراء سيناء في ظروف مناخية ولوجستية بالغة القسوة بهدف عبور القناة واستعادة السيطرة على مصر. إلا أن اليقظة العسكرية البريطانية والتفوق الناري للمدافع البريطانية المحمية على متن السفن الحربية في القناة سحقت المحاولة العثمانية وأجبرت جمال باشا على التراجع. تكررت المحاولة في معركة رومانة عام 1916 ومنيت بالفشل أيضاً. أدى هذا التراجع العثماني إلى تحول القوات البريطانية (تحت مسمى قوة التجريدة المصرية وبقيادة الجنرال إدموند ألنبي لاحقاً) من الدفاع إلى الهجوم؛ حيث بدأت بريطانيا في مد خط سكة حديد وأنابيب مياه عبر سيناء، متقدمةً بثبات لاختراق التحصينات العثمانية في غزة وبئر السبع، والوصول إلى عمق فلسطين واحتلال القدس في ديسمبر 1917، تمهيداً لإنهاء السيطرة العثمانية على كامل بلادالشام.

ج. جبهة العراق واشتعال الثورة العربية الكبرى(1916)

في وادي الرافدين، سارعت بريطانيا فور دخول العثمانيين الحرب إلى إنزال قواتها (قوة حملة بلاد الرافدين) في شط العرب لحماية مصالحها النفطية الحيوية في عبادان والخليج العربي. تقدمت القوات البريطانية نحو بغداد، لكنها واجهت مقاومة عثمانية صلبة أدت إلى محاصرة فرقة بريطانية كاملة بقيادة الجنرال تاونسند في بلدة الكوت (حصار الكوت 1915–

[1] [12] عبد الرحمن الرافعي، العرب والحرب العالمية الأولى (القاهرة: دار المعارف، طبعات قديمة)، ص 45-48

1916)، وانتهى الحصار باستسلام مهين لبريطانيا وأسر الآلاف من جنودها.[1] ورغم هذا الانكسار، أعادت لندن تنظيم قواتها وشنت هجوماً جديداً نجحت من خلاله في احتلال بغداد عام 1917 والتقدم نحو الموصل.

بالتوازي مع هذه المعارك النظامية، شهدت الجزيرة العربية منعطفاً تاريخياً حاسماً تمثل في انطلاق الثورة العربية الكبرى في 10 يونيو 1916، بقيادة الشريف حسين بن علي (شريف مكة) وبتنسيق ودعم عسكري ولوجستي بريطاني (برز فيه ضابط المخابرات توماس إدوارد لورنس "لورنس العرب"). جاءت الثورة رداً على السياسات القومية الطورانية المتشددة لجمالية الاتحاد والترقي وإعدام النخب العربية في بيروت ودمشق.[2] نجحت قوات الثورة العربية المكونة من القبائل والمتطوعين في خوض حرب عصابات برعت في إنهاك الجيوش العثمانية؛ حيث تمكنت من السيطرة على مكة وجدة، وشل حركة القطارات العسكرية عبر تفجير خط سكة حديد الحجاز، والسيطرة على ميناء العقبة الإستراتيجي عام 1917. شكل هذا الجهد العسكري العربي الغطاء الحيوي للجناح الأيمن للقوات البريطانية المتقدمة نحو الشام، وأسهم بشكل مباشر في انهيار الجبهة العثمانية ودخول القوات العربية المظفرة بقيادة الأمير فيصل بن الحسين إلى دمشق عام 1918[3].

ثالثا: ديناميكية التحالفات الدولية ونقطة التحول الحاسمة

لم تكن المعارك الميدانية وحدها من حدد مصير الحرب الكبرى، بل واكبها صراع دبلوماسي محموم في غرف المفاوضات السرية؛ حيث سعى كل معسكر إلى توسيع تحالفاته واستقطاب دول جديدة لكسر الجمود القتالي وتغيير موازين القوى:

[1] أسعد داغر، مذكراتي على هامش القضية العربية (بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2020)، ص 104-106

[2] جورج أنطونيوس، يقظة العرب: تاريخ حركة العرب القومية، تر. ناصر الدين الأسد وإحسان عباس (بيروت: دار العلم للملايين، 1987)، ص 188-192.

[3] زيان رقية، "موقف الأمة العربية من الحرب العالمية الأولى (1914–1918م)" (مذكرة ماستر، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، 2025)، ص 65-68.

أ. توسع جبهة دول الوسط (المحور العثماني–البلغاري)

بجانب المكسب الإستراتيجي الهائل المتمثل في انضمام الدولة العثمانية ومقدراتها الجغرافية والدينية (إعلان الجهاد المقدس)، نجحت الدبلوماسية الألمانية في استقطاب مملكة بلغاريا للانضمام إلى دول الوسط في أكتوبر 1915. جاء هذا الانضمام بعد إغراء بلغاريا بمنحها أراضٍ ومساحات جغرافية على حساب جارتها صربيا لإشباع نزعتها القومية البلقانية. أثمر هذا التحالف ميدانياً في تمكين دول الوسط من شن هجوم منسق وساحق أدى إلى سحق صربيا تماماً واحتلالها، والأهم من ذلك أنه أمن خط مواصلات برياً وإستراتيجياً مباشراً (سكة حديد برلين–إسطنبول) يتيح لألمانيا إمداد الدولة العثمانية بالأسلحة والذخائر المتطورة والمستشارين العسكريين دون عوائق[1].

ب–اتساع جبهة الحلفاء والدبلوماسية السرية (انضمام إيطاليا واليابان)

في المقابل، نجح معسكر الوفاق (الحلفاء) في تحقيق اختراقات دبلوماسية كبرى؛ حيث تمكن من جذب مملكة إيطاليا التي كانت تاريخياً عضواً في الحلف الثلاثي مع ألمانيا والنمسا. غير أن إيطاليا آثرت الحياد عند اندلاع الحرب، ودخلت في مفاوضات سرية مع الطرفين لبيع مواقفها لمن يقدم العرض الأكبر. تكلل الأمر بتوقيع معاهدة لندن السرية (أبريل 1915) بين إيطاليا ودول الوفاق، والتي وعدت فيها لندن وباريس بمنح روما أراضٍ شاسعة من أملاك النمسا–المجر (مثل ترينتينو وتيرول الجنوبية) ومناطق نفوذ استعمارية في حوض البحر الأبيض المتوسط على حساب تركة الدولة العثمانية.[2]أعلنت إيطاليا الحرب على النمسا، مفرغةً جبهة جنوبية جديدة استهلكت طاقات عسكرية نمساوية ضخمة في معارك نهر إيسونزو.

[1] عمر عبد العزيز عمر، تاريخ أوربا الحديث والمعاصر، ص 412.
[2] عبد العزيز سليمان نوار ومحمود محمد جمال الدين، التاريخ الأوروبي الحديث، ص 452.

أما في الشرق الأقصى، فقد سارعت إمبراطورية اليابان بالانضمام إلى الحلفاء منذ أغسطس 1914، مستغلةً انشغال القوى الأوروبية بالحرب للاستيلاء على القواعد البحرية والمستعمرات الألمانية في المحيط الهادئ وإقليم شاندونغ الصيني، مما وسع الرقعة الجغرافية للحرب لتكتسي صبغة "العالمية" بشكل كامل[1].

ج. عام التحولات الكبرى (1917) وحسم الصراع الدولي

شهد عام 1917 نقطة الانعطاف الدبلوماسية والعسكرية الأبرز في تاريخ الحرب؛ حيث تلاحق حدثان متناقضان غيرا موازين القوى الدولية بشكل كلي:

خروج روسيا وانكسار جبهة الشرق: تحت وطأة الجوع والهزائم العسكرية المتلاحقة، انفجرت الثورة الروسية في مارس 1917 وسقط النظام القيصري. تولت حكومة مؤقتة السلطة لكنها أصرت على مواصلة الحرب، مما مهد الطريق لـــ الثورة البلشفية (أكتوبر 1917) بقيادة فلاديمير لينين الذي رفع شعار "الخبز والسلام والأرض". وفور استلامهم السلطة، وقع البلاشفة معاهدة "برست ليتوفسك" (مارس 1918) مع ألمانيا، والتي خرجت بموجبها روسيا من الحرب رسمياً متنازلةً عن مساحات شاسعة من أراضيها (بولندا، أوكرانيا، فنلندا ودول البلطيق). أتاح هذا الخروج التاريخي لقيادة الأركان الألمانية نقل ما يقارب المليون جندي من الجبهة الشرقية إلى الجبهة الغربية لشن "هجوم الربيع" النهائي والحاسم ضد فرنسا وبريطانيا[2].

دخول الولايات المتحدة الأمريكية الحرب: في اللحظة التي اعتقدت فيها ألمانيا أنها اقتربت من النصر بعد خروج روسيا، تلقت ضربة دبلوماسية وعسكرية قاصمة بـــ إعلان الولايات المتحدة الحرب عليها في أبريل 1917 تحت قيادة الرئيس وودرو ويلسون. جاء هذا التحول الأمريكي رداً على قرار ألمانيا بشن "حرب الغواصات المفتوحة" وإغراق السفن

[1] هشام البطل، الحرب العالمية الأولى، ص 118.
[2] مجموعة مؤلفين، مئة عام على الحرب الكبرى 1914–1920: السلام متى ربيعه؟ (جبيل: المركز الدولي لعلوم الإنسان – اليونسكو، 2015)، ص 142.

التجارية المحايدة المتجهة لبريطانيا، فضلاً عن اعتراض المخابرات البريطانية لـــ "برقية زيمرمان" الشهيرة التي حاولت فيها برلين تحريض المكسيك لغزو الأراضي الأمريكية[1].

لم يكن الجيش الأمريكي عند دخوله الحرب ضخماً، لكن القدرات الصناعية والمالية والبشرية اللانهائية التي ضختها واشنطن في شرايين الحلفاء المنهكين غيرت المعادلة تماماً. وبحلول عام 1918، بدأ مئات الآلاف من الجنود الأمريكيين الطازجين (Doughboys) بالتدفق شهرياً إلى الجبهة الغربية، مشكلين جداراً دفاعياً صلباً حطم "هجوم الربيع" الألماني، وقاد هجوم المئة يوم المضاد للحلفاء الذي كسر خط "هيندنبورغ" الدفاعي، وعجّل بالانهيار التام لجيوش معسكر الوسط واضطرار ألمانيا لتوقيع الهدنة في نوفمبر 1918.[2]

[1] عمر الديراوي، الحرب العالمية الأولى، ص 132-135.
[2] هشام البطل، الحرب العالمية الأولى، ص 140-144.

المبحث الثالث: مشاركة العرب ميدانياً في معارك الحرب العالمية الأولى

لم تقتصر تداعيات الحرب العالمية الأولى (1914–1918) على التغيرات السياسية والدبلوماسية في الوطن العربي، بل كان العنصر البشري العربي في قلب الطحن العسكري المباشر على جبهات القتال. فقد وجدت الشعوب العربية نفسها، بمختلف نخبها العسكرية وقبائلها وفئاتها الريفية، مجبرة على الانخراط الميداني في أتون الحرب الكبرى، متوزعة بين الولاء لراية الخلافة الإسلاميةالعثمانية، أو التجنيد القسري في صفوف جيوش الحلفاء (خاصة فرنسا وبريطانيا)، أو الانحياز للمشروع القومي الاستقلالي الذي جسدته الثورة العربية الكبرى.

يسعى هذا المبحث إلى تقديم دراسة توثيقية وتحليلية موسعة للمشاركة الميدانية الفعلية للعرب في معارك الحرب العالمية الأولى. وينقسم هذا الرصد إلى ثلاثة محاور رئيسية: يتناول الأول تجربة الضباط والجنود العرب الذين قاتلوا في صفوف الجيش العثماني عبر جبهات قاسية في أوروبا والشرق الأوسط؛ ويسلط الثاني الضوء على الفعالية العسكرية لقوات الثورة العربية الكبرى ودورها في تقويض الوجود العثماني بالمشرق؛ بينما يتقصى المحور الثالث عملية التجنيد الإجباري الواسع لشباب المغرب العربي والدور الدموي الذي لعبوه على الجبهة الغربية لصالح فرنسا، اعتماداً على مذكرات تاريخية عاصرت الحدث وأبحاث أكاديمية حديثة.

أولا: الضباط والجنود العرب في صفوف الجيش العثماني

شكل العرب رافداً بشرياً وعسكرياً أساسياً في هيكلية الجيش العثماني عند اندلاع الحرب، نظراً لخضوع المشرق العربي وقسم من الجزيرة العربية للسيادة العثمانية وتطبيق

قانون التجنيد الإجباري (السفربرلك) وتوزعت هذه المشاركة بين الجنود العاديين والضباط المحترفين[1]:

أ. انتشار القوات العربية في الجبهات العثمانية

مع إعلان التعبئة العامة، جُند مئات الآلاف من الشبان العرب في الولايات السورية (تشمل فلسطين ولبنان والأردن حالياً) وولايات العراق (بغداد، البصرة، الموصل). ولتجنب حدوث تمرد أو تعاطف مع الحركات القومية المحلية، تعمدت القيادة العسكرية العثمانية العليا (جمعية الاتحاد والترقي) نقل القطاعات العسكرية المكونة من أغلبية عربية إلى جبهات قتالية بعيدة عن مواطنهم[2]:

جبهة القوقاز: نُقلت فرق كاملة من الجنود الشوام والعراقيين للقتال ضد الجيش الروسي القيصري في مرتفعات القوقاز المتجمدة. واجه هؤلاء الجنود ظروفاً مناخية كارثية ونقصاً حاداً في المؤن والتسليح، مما أدى إلى إبادة فرق بأكملها تجمداً أو مرضاً في معارك مثل "ساريقاميش[3]"

جبهة جاليبولي: شاركت قطاعات عربية بفعالية في الصمود الدفاعي بوجه الإنزال البريطاني–الفرنسي في مضيق الدردنيل عام 1915، وتشير الوثائق العسكرية إلى أن الفرقتين (19) و(26) العثمانيتين اللتين تصدتا للإنزال الأول كانتا تضمان نسبة عالية من

[1] مركز الجزيرة للدراسات : تجنيد العرب في الجيش العثماني , الاساطير و الهوية الملتبسة

[2] زيان رقية، "موقف الأمة العربية من الحرب العالمية الأولى (1914–1918م)" (مذكرة ماستر، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، 2025)، ص 42-45.

[3] عبد الرحمن الراشد، "العرب في الحرب العالمية الأولى"، صحيفة الشرق الأوسط، عدد 14230، ص 9.

الجنود والضباط العرب من حلب، ودمشق، والقدس، وبغداد، وقد سقط منهم آلاف الشهداء في تلك المعارك[1].

ب. دور الضباط العرب والجمعيات السرية

برز داخل المؤسسة العسكرية العثمانية جيل من الضباط العرب الخريجين من المدرسة الحربية في إستانبول، والذين تميزوا بكفاءة قتالية عالية في قيادة المعارك النظامية وحرب الخنادق، مثل ياسين الهاشمي، ونوري السعيد، وجعفر العسكري، وعزيز علي المصري[2].

عاش هؤلاء الضباط والنخب الفكرية في إسطنبول وعواصم المشرق حالة من التمزق الوجداني والسياسي بين واجبهم العسكري النظامي وحسهم القومي النامي، خاصة بعد تأسيسهم لجمعيات سرية مثل "العهد" و**"الفتاة"**.[3] ومع تشديد قبضة الحاكم العسكري أحمد جمال باشا في الشام، وإعدامه لرموز الحركة الوطنية في ساحتي البرج ببيروت والمرجة بدمشق عامي 1915 و1916، قرر عدد كبير من هؤلاء الضباط الانشقاق أو الالتحاق بالثورة العربية فور انطلاقها، مستفيدين من خبراتهم الأكاديمية العالية في تحويل المتطوعين القبليين إلى جيش نظامي قادر على مجابهة التكتيكات الألمانية والعثمانية[4].

ثانيا: الفعالية الميدانية لقوات الثورة العربية الكبرى(1916–1918)

[1] مذكرات عبد الله دبوس، يوميات ضابط بيروتي في الحرب العالمية الأولى، تح. محمد السعيدي (بيروت: دار المطبوعات الشرقية، 2011)، ص 74-82.

[2] محمد عزة دروزة، نشأة الحركة العربية الحديثة (بيروت: دار الكلمة، 1982)، ص 115.

[3] أسعد داغر، مذكراتي على هامش القضية العربية (بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2020)، ص 88-93.

[4] محمد عزة دروزة، حول الحركة العربية الحديثة: تاريخ ومذكرات (صيدا: المكتبة العصرية، 1950)، ج 2، ص 64.

مثلت الثورة العربية الكبرى، التي أعلنها الشريف حسين بن علي في يونيو 1916، المسرح العملياتي الأبرز للمشاركة العربية المستقلة، وتحولت ميدانياً من مجرد انتفاضة عشائرية إلى جيش نظامي حليف أخل بالميزان العسكري الإستراتيجي لدول الوسط في الشرق الأوسط[1].

أ. الهيكل العسكري وإستراتيجية حرب العصابات

انقسمت القوات العسكرية للثورة إلى أربعة جيوش فرعية قادها أبناء الشريف حسين (علي، وعبد الله، وفيصل، وزيد). اعتمدت الإستراتيجية العسكرية في مراحلها الأولى على "حرب العصابات الخاطفة (Guerrilla Warfare) "التي تناسب طبيعة المقاتلين البدو من قبائل الحجاز والجزيرة العربية وبادية الشام.[2] وتركزت العمليات العسكرية على أهداف محددة:

تطهير الحجاز: السيطرة على الحاميات العثمانية في مكة، وجدة، والطائف، وشل حركة الجيش العثماني الثاني عشر المحاصر في المدينة المنورة بقيادة عمر فخر الدين باشا (نمر الصحراء)[3].

تدمير الخطوط اللوجستية: استهداف سكة حديد الحجاز بشكل مستمر عبر تفجير الجسور، وتدمير القضبان، وقطع خطوط البرق. نجحت هذه العمليات في حرمان القيادة

[1] جورج أنطونيوس، يقظة العرب: تاريخ حركة العرب القومية، تر. ناصر الدين الأسد وإحسان عباس (بيروت: دار العلم للملايين، 1987)، ص 210.

[2] أمين الريحاني، ملوك العرب: رحلة في البلاد العربية (بيروت: دار الجيل، طبعات متعددة)، ج 1، ص 145-152.

[3] العرب والحرب العالمية الأولى"، رسالة جامعية مستقلة، جامعة المسيلة، ص 18-21.

العثمانية من إرسال الإمدادات العسكرية أو سحب قواتها المحاصرة في المدينة نحو الشمال[1].

ب. التحول إلى الجيش النظامي وتحرير الشام

شهد عام 1917 تحولاً نوعياً في الأداء العملياتي للثورة مع تشكيل "الجيش العربي الشمالي" بقيادة الأمير فيصل بن الحسين، وإشراف الضباط العرب المنشقين عن الجيش العثماني، وبإسناد فني ولوجستي من البعثة العسكرية البريطانية (برئاسة الكولونيل نيول وبمشاركة ت. إ. لورنس)[2].

المعركة/الهدف التاريخ الأهمية الإستراتيجية والنتائج ميدانياً

معركة العقبة يوليو 1917 مباغتة القوات العثمانية من البر والاستيلاء على الميناء الإستراتيجي، وتحويله إلى قاعدة إمداد رئيسية للحلفاء لنقل المعارك نحو الشام.

معركة الطفيلة يناير 1918 تطبيق تكتيكات الحرب النظامية الدفاعية وسحق قوة عثمانية متطورة، مما أمن ميمنة القوات البريطانية.

تحرير دمشق وحلب أكتوبر 1918 اختراق التحصينات العثمانية، ودخول القوات العربية المظفرة إلى دمشق، وتأسيس أول حكومة عربية، وإنهاء الوجود العثماني تماماً.

شهادة تاريخية: أكدت تقارير الأركان العامة البريطانية أن الثورة العربية الكبرى نجحت في إشغال وتثبيت ما يزيد على 65 ألف جندي عثماني على طول الخط الجغرافي الممتد من المدينة المنورة إلى معان، مما خفف الضغط العسكري بصورة حاسمة عن جيش الجنرال ألنبي في جبهة سيناء وفلسطين وفتح الطريق لاحتلال القدس[3].

[1] جورج أنطونيوس، يقظة العرب، ص 224-230.
[2] رشيد خشانة (تحرير)، الطريق إلى سايكس-بيكو: الحرب العالمية الأولى بعيون عربية (تونس: المغاربية للنشر والتوزيع، 2017)، ص 85-92.
[3] " العرب والحرب العالمية الأولى"، مجلة أسطور للدراسات التاريخية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، العدد 4 (يوليو 2016)، ص 54.

ثالثا : التجنيد القسري في المغرب العربي ومعارك الجبهة الغربية

في النصف الغربي من الوطن العربي، اتخذت مشاركة العرب طابعاً مغايراً؛ إذ استغلت فرنسا إحكام سيطرتها الاستعمارية على الجزائر وتونس والمغرب لفرض سياسة "التجنيد الإجباري" (أو التجنيد "الطوعي" تحت وطأة الترغيب المالي والضغط الإداري) لتعويض النزيف البشري الهائل الذي عانته الجيوش الفرنسية على الجبهة الغربية بوجه الألمان[1].

أ. الطاقات البشرية المستنزفة من المغرب العربي

أشارت الإحصائيات التاريخية الرصينة الصادرة عن أرشيفات الحرب الفرنسية إلى أن فرنسا جندت ما يقارب 300 ألف شاب من المغرب العربي خلال سنوات الحرب، توزعت كالتالي:

الجزائر: قدمت الثقل الأكبر بنحو 173 ألف مجند، مستندة إلى قانون التجنيد الإجباري الصادر عام 1912.

تونس والمغرب: جُند حوالي 80 ألف تونسي و40 ألف مغربي ضمن فرقة "الرماة والمشاة المغاربة.(Tirailleurs) "

[1] مجموعة مؤلفين، مئة عام على الحرب العالمية الأولى: مقاربات عربية، المجلد الثاني: مجتمعات الحرب والتحولات الهيكلية (الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2016)، ص 210.

إلى جانب المقاتلين، شحنت فرنسا أكثر من 130 ألف عامل عربي من المغرب العربي للعمل في مصانع الذخيرة والأسلحة، والموانئ، وخطوط السكك الحديدية البديلة داخل فرنسا لسد النقص الحاد في اليد العاملة الفرنسية التي ذهبت إلى الخنادق[1].

ب. الأداء القتالي في جحيم الجبهة الغربية

زجت القيادة الفرنسية بقوات المشاة العربية (الذين أطلق عليهم الألمان اسم "النداء الأسود" أو "الجنود الملونين") في الخطوط الأمامية الأولى لأعنف معارك الاستنزاف وأكثرها دموية في أوروبا[2]:

معركة المارن الأولى وفردان: خاض الرماة الجزائريون والمغاربة معارك ضارية وصنفوا كـــ "قوات صدم (Shock Troops) "لقدرتهم العالية على القتال المتلاحم واقتحام تحصينات العدو.

معركة السوم وجبهة شيمين دي دام :(Chemin des Dames) منيت القوات المغاربية في هذه المعارك بخسائر بشرية مرعبة نتيجة زجهم في هجمات انتحارية مكشوفة بوجه المدافع الرشاشة الألمانية والغازات السامة، بالإضافة إلى عدم توافق بنيتهم الجسدية مع قسوة الشتاء الأوروبي الرطب في الخنادق، مما أدى إلى وفاة الآلاف منهم بالأمراض الصدرية[3].

رغم التضحيات الجسيمة وسقوط عشرات الآلاف من القتلى العرب في جبهات أوروبا دفاعاً عن فرنسا، قوبلت هذه التضحيات بإنكار فرنسي للحقوق السياسية عقب انتهاء الحرب، مما ولد شعوراً عميقاً بالمرارة في الأوساط الشعبية المغاربية، وساهم في نضوج الوعي الوطني وظهور الحركات الاستقلالية المنظمة (مثل نجم شمال إفريقيا) بقيادة النخبة من الجنود العائدين من جبهات القتال والذين خبروا زيف الشعارات الاستعمارية.

[1] مجموعة مؤلفين، مئة عام على الحرب العالمية الأولى: مقاربات عربية، المجلد الثاني، ص 218.
[2]" نشاط الوطنيين العرب والمغاربة في برلين من خلال جريدة الجهاد (1915-؟)"، مجلة أكاديمية للبحوث الاجتماعية والإنسانية(ASJP) ، المجلد 9، العدد 2 (2017)، ص 104-107.
[3] رشيد خشانة، الطريق إلى سايكس-بيكو، ص 140.

الفصل الثاني:
الجنود العرب في الأسر بين الألم والأمل

تمهيد:

إذا كان انخراط العنصر البشري العربي في معارك الحرب العالمية الأولى قد تم عبر قنوات قسرية فرضتها إستراتيجيات التعبئة العامة والتجنيد الإجباري للقوى الإمبراطورية المتصارعة ـــ كما تم تفكيكه في الفصل السابق ـــ فإن المآل العسكري الحتمي لآلاف من هؤلاء المجندين قد انتهى بهم إلى الوقوع في شباك الأسر والاعتقال. ويمثل هذا الفصل محورية البحث الجوهرية والقلب النابض للمذكرة؛ كونه ينتقل بالدراسة التاريخية من رصد المعطيات السياسية والعسكرية العامة، ليغوص في الأعماق السيكولوجية والاجتماعية والإنسانية للأسير العربي، متتبعاً يومياته وتجربته الوجودية التي تبرز فيها الجدلية القائمة بين مرارة "الألم" الناجم عن القهر الجغرافي والجسدي، وبوارق "الأمل" المتطلعة نحو التحرر والانعتاق واسترداد السيادة الذاتية.

إن دراسة وضعية الجنود العرب داخل فضاءات الاحتجاز العالمية تقتضي، من الناحية المنهجية، تشريح الخارطة الجغرافية والسياسية لتوزيع هؤلاء الأسرى؛ إذ لم تكن عملية نقلهم وتوزيعهم بين معسكرات القوى المتحاربة إجراءً لوجستياً عشوائياً، بل خضعت لـــ"هندسة إمبراطورية" واعية سعت إلى فرز الأسرى عرقياً ودينياً وإيديولوجياً. فبينما تحولت معسكرات ألمانيا (مثل معسكر الهلال في زوسن) إلى مختبرات دعائية لتسييس الدين واستقطاب المسلمين، طبقت بريطانيا في معسكرات مصر وقبرص سياسة الفرز الإثني لفصل العرب عن الأتراك العثمانيين، في حين وظفت معسكرات الهند وبورما، وصقيع سيبيريا الروسية، كأدوات للنفي الجغرافي واستنزاف الأسرى في أعمال السخرية والأشغال الشاقة.

ولا يقف التحليل التاريخي عند حدود رصد المواقع الجغرافية للمعسكرات، بل يمتد لـــتشخيص البنية الداخلية للحياة اليومية للأسرى العرب، وهي البنية التي تلخص أبعاد "الألم" في أقصى تجلياته المادية والنفسية. فخلف الأسلاك الشائكة، واجه المعتقلون العرب

ظروفاً معيشية وصحية بالغة القسوة، تراوحت بين سوء التغذية الحاد، وتفشي الأوبئة الفتاكة، وصدمة المناخات المغايرة لبيئاتهم الأصلية، فضلاً عن الصرامة الحديدية لأنظمة الانضباط العسكري داخل المعتقلات. غير أنه في قلب هذا الركام من المعاناة، برزت الأبعاد الدينية والنفسية والاجتماعية (كإقامة الشعائر، وبناء المساجد، والتكتلات القبلية والوطنية) كآليات دفاعية واعية وظفها الأسرى للحفاظ على تماسكهم الهووي ومقاومة المحو السيكولوجي الذي تفرضه حياة المعتقل.

وفي المقابل، لم تكن تجربة الأسر حالة من الاستسلام السلبي المطلق، بل كانت فضاءً حيوياً تداخلت فيه الضغوط الخارجية بـــتطلعات الأسرى نحو المستقبل، وهو ما يجسد جانب "الأمل" والانعتاق في هذه التجربة. فقد عاش الأسرى العرب حالة من الترقب المستمر لعمليات التبادل الدبلوماسي وتلقي أنباء الأوطان عبر لجان الصليب الأحمر الدولي، بالتوازي مع تنامي وعيهم السياسي نتيجة الاحتكاك الفكري المباشر والدعاية السياسية الموجهة إليهم داخل المعسكرات. هذا التفاعل المستمر بين واقع القهر المعاش والتطلع نحو الحرية، جعل من معسكرات الأسر مشتلة حقيقية لإنضاج الوعي القومي والوطني، لتتحول التجربة من محنة جسدية عابرة إلى محطة مفصلية أسهمت في إعادة صياغة الهوية الذاتية للمجند العربي قُبيل عودته إلى وطنه.

بناءً على هذه الجدلية التاريخية، يسعى هذا الفصل عبر مباحثه الثلاثة المتكاملة إلى تقديم مقاربة تحليلية شاملة لواقع الأسرى العرب؛ تبدأ بتتبع خارطة توزيعهم الجغرافي والسياسي بين معسكرات الاعتقال الدولية، ثم تنتقل لتفكيك الظروف المعيشية والصحية والنفسية التي أطرت حياتهم اليومية، وصولاً إلى رصد ديناميكيات المقاومة ومظاهر الأمل والتطلع نحو التحرير والانعتاق التي صبغت الرمق الأخير من تجربتهم خلف الأسلاك.

المبحث الأول: توزيع الأسرى العرب في معسكرات الاعتقال

شكلت ظاهرة الأسر العسكري أحد الملامح الأكثر مأساوية في الحرب العالمية الأولى (1914–1918)، حيث تحولت عمليات احتجاز ملايين الجنود إلى معضلة لوجستية وإنسانية وسياسية واجهت الدول المتحاربة. ولم يكن الجنود العرب بمنأى عن هذا واقع؛ فبسبب توزع ولائاتهم وتجنيدهم في جبهات متصارعة، انعكس ذلك على جغرافيا أسرهم، فغدوا مشتتين في معسكرات اعتقال نائية توزعت بين قارات العالم الثلاث (أفريقيا، وآسيا، وأوروبا).

يهدف هذا المبحث إلى تتبع الخارطة الجيوسياسية لتوزيع الأسرى العرب وتفكيك شبكة معسكرات الاعتقال التي احتضنتهم، مدعومة بالشهادات الحية لضحايا وشهود عيان من زمن الحرب. وينقسم الطرح إلى مسارات تحليلية وإحصائية؛ تبدأ برصد معسكرات الحلفاء لأسرى الجيش العثماني في مصر (سيدي بشر والمعادي) والشرق الأقصى (الهند وبورما) وجزيرة نارغين في روسيا، ثم تنتقل إلى دراسة معسكرات اعتقال الجنود المغاربة في أوروبا على يد الألمان (مع التركيز على معسكر الهلال الشهير في فونسدورف)، وصولاً إلى تقييم دور اللجنة الدولية للصليب الأحمر في توثيق ملفات هؤلاء الأسرى وتتبع أماكن وجودهم، اعتماداً على مذكرات، وتقارير أرشيفية، ودراسات أكاديمية حديثة.

أولا : معسكرات الأسرى العرب في الجيش العثماني (تحت إدارة الحلفاء وروسيا)

عقب اندلاع المعارك في جبهات سيناء، وفلسطين، والعراق، سقط عشرات الآلاف من جنود الجيش العثماني –ومن بينهم نسبة هائلة من أبناء الولايات العربية بالشام والعراق– في قبضة قوات الحلفاء (بريطانيا وروسيا القيصرية). ونظراً للمخاوف الأمنية واللوجستية، عمدت هذه القوى إلى توزيع الأسرى على شبكة معسكرات متباعدة:

أ. المسرح المصري: معسكر سيدي بشر وثكنات المعادي

شكلت مصر، الخاضعة للاحتلال والبروتوكول العسكري البريطاني الصارم أثناء الحرب، المركز الرئيسي والأقرب لاستقبال وتجميع أسرى جبهات سيناء وفلسطين العثمانيين.[1] وأنشأت السلطات البريطانية عدة معسكرات رئيسية أبرزها:

معسكر سيدي بشر (الإسكندرية): يعد واحداً من أضخم معسكرات الأسرى العثمانيين في المنطقة؛ حيث استقبل منذ عام 1915 آلاف الجنود والضباط (الأتراك، والعرب، والأعلال) الذين أُسروا في معارك قناة السويس، وغزة، والقدس. وتشير الإحصاءات والتقارير التاريخية إلى أن المعسكر شهد ظروفاً صحية متقلبة، ونظمت فيه بريطانيا مقابر خاصة لدفن المئات من الأسرى الذين قضوا نحبهم جراء الأوبئة أو الجراح، وهو ما يوثقه "النصب التذكاري لمقابر الشهداء العثمانيين" في سيدي بشر حالياً[2].

ثكنات المعادي (القاهرة): تحولت ثكنات المعادي في عام 1917 إلى نقطة ارتكاز إستراتيجية لاعتقال وفرز الأسرى العثمانيين، وخاصة الضباط العرب. استغلت بريطانيا وجود هؤلاء الضباط العرب في المعادي وسيدي بشر لمحاولة فرزهم سياسياً، وعزل العناصر الموالية للدولة العثمانية عن العناصر القومية التي يمكن إقناعها بالانضمام إلى مشروع الثورة العربية الكبرى في الحجاز[3].

شهادات عيان ومذكرات من معسكرات مصر:

تنقل المذكرات العسكرية شهادات حية تبرز دوافع الأسر وظروفه داخل المعسكرات البريطانية بمصر؛ إذ يروي الضابط اللبناني عبد الله دبوس في يومياته تجربة فراره من الجيش العثماني، واصفاً كيف دفعه الجوع الشديد وسوء التنظيم والإمداد داخل الجيش

[1] لطيفة محمد سالم، مصر في الحرب العالمية الأولى (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1984)، ص 112-115.
[2] نفس المرجع ص 117-118
[3] لطيفة محمد سالم، مصر في الحرب العالمية الأولى، ص 120.

العثماني إلى اتخاذ قرار الفرار مع رفاقه وتسليم أنفسهم للقوات الإنجليزية.[1] ويسجل دبوس مفاجأته عند الأسر، حيث وجد أن معاملة الأطباء البريطانيين للأسرى كانت أقل قسوة مما كان يتوقع، معتبراً أن الوقوع في الأسر كان بمثابة «خلاص» حقيقي له ولرفاقه من جحيم خطوط الجبهة المشتعلة[2].

في المقابل، لم تكن تجربة الأسر في مصر خالية من الفظائع والانتهاكات؛ إذ تكشف مصادر تاريخية عربية وتركية عن تعرض جزء من الأسرى العثمانيين (من أتراك وعرب وأكراد) في معسكر سيدي بشر لحادثة مأساوية عُرفت بـــ "حمامات الكريزول"، حيث أدى الإهمال أو التعسف البريطاني في استخدام هذه المادة الكيميائية لأغراض التطهير إلى إصابة ألوف الأسرى بالعمى. وقد بلغت هذه القضية أروقة السياسة الدولية لاحقاً، حيث ناقش البرلمان التركي هذا الحادث رسمياً في جلساته سنة 1921، بوصفه جريمة حرب ارتكبها البريطانيون بحق الأسرى العثمانيين المعتقلين في مصر[3].

ب. معسكرات الشرق الأقصى: الهند وبورما

لم تكتفِ الإدارة البريطانية باحتجاز الأسرى في مصر، بل تبنت إستراتيجية النقل البعيد ("النفي العسكري") للأسرى العثمانيين من أصول عربية وتركية الذين أُسروا في جبهة العراق (البصرة والكوت) وجنوب الجزيرة العربية. نُقل هؤلاء عبر السفن التجارية والحربية عبر المحيط الهندي إلى معسكرات نائية في الهند وبورما (ميانمار حالياً)[4].

كان الهدف الأساسي من وراء هذا النفي الجغرافي هو عزل الجنود تماماً عن مسارح العمليات، ومنع أي محاولة للهرب أو إثارة القلاقل في المشرق العربي، بالإضافة إلى

[1] مذكرات عبد الله دبوس، يوميات ضابط بيروتي في الحرب العالمية الأولى، تح. محمد السعيدي (بيروت: دار المطبوعات الشرقية، 2011)، ص 95.
[2] المصدر نفسه، ص 98.
[3] مقالات تاريخية عن "ثكنات المعادي ومعسكر سيدي بشر"، مستندة إلى مضابط البرلمان العثماني/التركي لعام 1921.
[4] مجموعة مؤلفين، مئة عام على الحرب العالمية الأولى: مقاربات عربية، المجلد الأول: الأسباب والسياقات والتداعيات (الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات, 2016)، ص 245.

الاستفادة من بنيتهم الجسدية في أعمال السخرة وشق الطرق بآسيا. وقد مات المئات منهم هناك ودُفنوا في مقابر شهيرة تابعة للجيش العثماني في تلك الدول البعيدة[1].

ورغم البعد الجغرافي القاسي وطول أمد الاعتقال، تكشف المراسلات والوثائق المحفوظة لدى أرشيفات الهلال الأحمر التركي أن الأمل في العودة ظل يراود الجنود العرب والأسرى العثمانيين في الهند وبورما؛ حيث امتلأت رسائلهم الموجهة إلى عائلاتهم بعبارات إنسانية مؤثرة تطمئن ذويهم مثل: "لا تقلقوا عليّ، أنا حيّ وبصحةٍ جيدة، وأسأل الله أن يجمعنا قريباً"، مصحوبة بتساؤلات وطلبات متكررة والملحة للاطمئنان على أحوال الزوجة والأبناء، مما عكس تشبثهم بالأمل في الخلاص والعودة إلى ديارهم[2].

ج. معسكرات الإمبراطورية الروسية: جزيرة نارغين

على الجبهة الشرقية وجبهة القوقاز المتجمدة، وقع آلاف الجنود العرب التابعين للفرق العثمانية في أسر الجيش الروسي القيصري. رُحّل هؤلاء الأسرى إلى معسكرات تقع في عمق الأراضي الروسية وسيبيريا، إلا أن النقطة الأكثر مأساوية كانت جزيرة نارغين (جزيرة بويوك زيرة حالياً) الواقعة في بحر قزوين قبالة سواحل باكو في أذربيجان.[3] تميز هذا المعسكر بظروفه الإنسانية والمناخية الكارثية، حيث عانى الأسرى العرب والأتراك من البرد القارس، والنقص الحاد في المياه العذبة والأغذية، وانتشار مرض التيفوس، مما جعل الجزيرة تُعرف في الأدبيات التاريخية بـــ "جزيرة الموت"، حيث قضى فيها آلاف الجنود أسرى قبل سقوط النظام القيصري عام 1917.

ثانيا : معسكرات أسرى الجنود المغاربة في أوروبا (تحت إدارة ألمانيا)

اتخذت ديناميكية الأسر مساراً معاكساً تماماً في الجبهة الغربية بأوروبا؛ حيث سقط آلاف الجنود من أبناء المغرب العربي (الجزائر، وتونس، والمغرب) –الذين جندتهم فرنسا قسرياً

[1] قصة مقابر الشهداء العثمانيين في 37 دولة"، صحيفة القدس العربي، عدد 9245، ص 11.
[2] رسائل أسرى عثمانيين من الهند وبورما، أرشيف الهلال الأحمر التركي، وثائق الأسرى والمراسلات العائلية المترجمة (إسطنبول)
[3]" الآثار العربية للحرب العالمية الأولى"، ملف مؤتمر المركز العربي للأبحاث، جريدة السفير (بيروت)، ملحق خاص، 2015.

في صفوف جيشها– في قبضة القوات الألمانية خلال معارك الاستنزاف الضارية في شمال فرنسا وبلجيكا[1].

أ. معسكر الهلال في فونسدورف

لم تعامل ألمانيا الأسرى المسلمين (من عرب ومغاربة وهنود) كبقية الأسرى الأوروبيين، بل وظفتهم ضمن إستراتيجية برلين الفكرية والدبلوماسية المعروفة بـــ "الجهاد البروليتاري" بالتعاون مع حليفتها الدولة العثمانية. وبناءً على ذلك، أنشأت الإمبراطورية الألمانية معسكراً نموذجياً خاصاً عام 1915 في منطقة فونسدورف (Zossen-Wünsdorf) قرب برلين، عُرف باسم "معسكر الهلال[2] "

ضم المعسكر آلاف الأسرى المسلمين، وكان بينهم نسبة رئيسية وكبيرة من الجنود العرب المغاربة. تميز هذا المعسكر بتوفير رعاية دينية وثقافية خاصة وموجهة؛ إذ بني فيه أول مسجد خشبي في ألمانيا (بمئذنة وقبة) لتمكين الأسرى من أداء شعائرهم، ووُفرت لهم الأطعمة الحلال، وتجنبت الإدارة الألمانية تشغيلهم في أعمال شاقة في بداية الأمر.

شهادات عيان من معسكر الهلال:

توثق سجلات التحقيق والتقارير الألمانية الرسمية شهادات مباشرة تعكس طبيعة المعيشة الموجهة داخل المعسكر؛ ومن ذلك شهادة الأسير أحمد بن حسين، وهو فلاح مغربي وقع في الأسر أثناء قتاله المجبر في الجبهة الغربية، حيث أفاد في أقواله المحفوظة "بأنه كان يُقدَّم لهم طعام جيد ولحوم حلال، وثلاثة أغطية وملابس وأحذية، مع اهتمام بالصحة والنظافة".[3] كما أشار في شهادته إلى البعد الدبلوماسي والدعائي للمعسكر، موضحاً أن

[1]" الجنود المغاربة في الحرب العالمية الأولى 1914–1918"، مجلة أكاديمية للبحوث الاجتماعية والإنسانية(ASJP) ، المجلد 11، العدد 1 (2019)، ص 76

[2]" معسكر الهلال ..(Halbmondlager) قصة أول مسجد وأسرى المسلمين في ألمانيا"، موقع ترك برس

[3] شهادة أحمد بن حسين (فلاح مغربي)، سجلات التحقيق والملفات الرسمية العسكرية الألمانية، معسكر فونسدورف، برلين، 1916.

شيوخاً ومبعوثين عثمانيين كانوا يزورونهم بانتظام داخل المعتقل لإلقاء الخطب واستمالتهم سياسياً وعقائدياً للانضمام إلى الجهاد تحت راية دول المحور.

ورغم هذه الصورة التي حاولت البروباغندا الألمانية ترويجها، تشير الدراسات التحليلية الحديثة للأسرى المغاربيين في ألمانيا إلى أن كثيراً من الأصوات والشهادات المباشرة لهؤلاء الأسرى قد ضاعت أو لم تُدوّن تاريخياً، وأن ما وصل منها ظل مجتزأً عبر التقارير الرسمية أو أدوات الدعاية.[1] ومع ذلك، فإن بعض الرسائل والشهادات الشفهية المتبقية تبين بوضوح وجود مشاعر مختلطة عاشها المجند العربي المغاربي في قسوة الغربة؛ تترجح بين الخوف من المجهول، والفضول الإنساني تجاه تفاصيل الحياة الثقافية والاجتماعية في أوروبا، مع بقاء الأمل الجارف في النجاة والعودة إلى قراهم وأوطانهم في شمال إفريقيا[2].

ب. الدعاية السياسية والفرز العسكري

كان الهدف الجوهري لمعسكر الهلال دِعائياً وسياسياً بامتياز؛ حيث حاولت ألمانيا والدولة العثمانية عبر لجان مشتركة (شارك فيها ناشطون وطنيون عرب ومغاربة في برلين عبر منابر إعلامية مثل جريدة "الجهاد" المطبوعة بالعربية)[3] إقناع هؤلاء الأسرى بـــ "زيف" الولاء لفرنسا وبريطانيا الاستعماريتين، وحثهم على الانضمام لراية الخلافة الإسلامية وجهاد الحلفاء. نتج عن هذه السياسة فرز آلاف الأسرى العرب الذين وافقوا على تشكيل "فرقة المتطوعين" ونُقلوا لاحقاً إلى إسطنبول وجبهات الشرق الأوسط للقتال ضد الحلفاء، بينما رُحل من رفض الاستجابة لهذه الدعاية إلى معسكرات أشد قسوة ليعاملوا كأسرى حرب عاديين في أعمال السخرة الزراعية والصناعية داخل ألمانيا[4].

[1] مقالات عن الأسرى المغاربيين في ألمانيا، مجلة أكاديمية(ASJP) ، ص 85-87.
[2] " الجنود المغاربة في الحرب العالمية الأولى 1914–1918"، مجلة أكاديمية(ASJP) ، ص 89.
[3] " نشاط الوطنيين العرب والمغاربة في برلين من خلال جريدة الجهاد (1915-؟)"، مجلة أكاديمية للبحوث الاجتماعية والإنسانية(ASJP) ، المجلد 9، العدد 2 (2017)، ص 102.
[4] " الجنود المغاربة في الحرب العالمية الأولى 1914–1918"، مجلة أكاديمية(ASJP) ، ص 81.

ثالثا : جهود التوثيق وتتبع الأسرى (اللجنة الدولية للصليب الأحمر)

أمام التشتت الجغرافي الهائل لملايين الأسرى من مختلف الجنسيات والإثنيات (ومنهم العرب في الجيوش العثمانية أو الاستعمارية)، برز الدور المحوري والمؤسسي لـــ اللجنة الدولية للصليب الأحمر (ICRC) عبر "الوكالة الدولية لأسرى الحرب" التي تأسست في جنيف فور اندلاع الصراع[1].

عملت الوكالة كحلقة وصل إنسانية ودبلوماسية وحيدة بين القوى المتحاربة؛ فقامت بجمع وتصنيف ملايين "البطاقات الفردية" و"القوائم الاسمية" للأسرى الذين تم الإبلاغ عنهم من قِبل الدول المعتقِلة لهم (سواء في المعسكرات البريطانية بمصر والهند، أو الألمانية، أو الروسية)[2].

ساهمت هذه الملفات والبطاقات الأرشيفية –التي تحتفظ بها اللجنة الدولية وتعد إرثاً إنسانياً عالمياً– في توثيق الأسماء الدقيقة لآلاف الجنود والضباط العرب، وتحديد أماكن احتجازهم، ومتابعة حالاتهم الصحية، فضلاً عن تسهيل تبادل الرسائل البريدية والملخصات العائلية ("بطاقات الأسرى") بين الجنود المعتقلين وعائلاتهم في ولايات الشام، والعراق، والمغرب العربي، مما مثل بصيص الأمل الوحيد لربط هؤلاء الجنود المنسيين بأوطانهم وسط ظلمات المعتقلات السياسية والعسكرية العالمي[3].

[1] " تاريخ الوكالة الدولية لأسرى الحرب"، الموقع الرسمي لـ اللجنة الدولية للصليب الأحمر(ICRC)
[2] المصدر نفسه
[3] المصدر نفسه

المبحث الثاني: ظروف المعتقلين (الحياة اليومية، المعاملة، المعاناة)

إذا كان المبحث الأول قد رسم الخارطة الجيوسياسية لتوزيع الأسرى العرب وتشتتهم الجغرافي بين القارات، فإن هذا المبحث يتوغل في عمق التجربة الإنسانية المباشرة داخل المعتقلات. لم تكن المعسكرات مجرد مساحات جغرافية للاحتجاز، بل تحولت إلى فضاءات يومية معقدة تداخلت فيها المعاناة الجسدية والنفسية مع حسابات البروباغندا الدعاية السياسية للدول المتحاربة.

يسعى هذا الطرح إلى تفكيك ثنائية "الألم والأمل" التي عاشها الأسير العربي (المشرقي والمغاربي) خلال الحرب العالمية الأولى (1914–1918) عبر مقاربة ثلاثة محاور رئيسية: أولاً، تقييم الواقع المادي للظروف المعيشية والصحية والانتهاكات التي تعرض لها الأسرى في معسكرات الحلفاء والمحور. ثانياً، رصد المعاناة النفسية والثقافية، متجلية في العزلة، والأمية، وصراع الهوية أمام طاحونة الدعاية. وثالثاً، تأطير هذه المعاملة ضمن ميزان المقارنة القانونية والشرعية بين نصوص القانون الدولي الإنساني الحاضرة آنذاك والفقه الإسلامي من جهة، والواقع الفعلي في الميدان من جهة أخرى، بالاعتماد على شهادات ومذكرات معاصرة ورسائل الأسرى المنسية.

أولا: الواقع المادي والمعيشي للأسرى:

تباينت الظروف المادية لمعيشة الأسرى العرب تبايناً حاداً بناءً على الجهة الآسرة، والمعسكر، والتوقيت الإستراتيجي، إلا أن القاسم المشترك للأغلبية العظمى كان مواجهة ثالوث: المرض، والطقس، ونقص الإمدادات.

أ. معسكرات مصر (الحلفاء):

شهدت معسكرات الحلفاء في مصر، وتحديداً معسكر سيدي بشر بالإسكندرية وثكنات المعادي بالقاهرة، موجات تدفق هائلة للأسرى العثمانيين عقب معارك سيناء وفلسطين، مما

تسبب في حالة من الاكتظاظ الشديد وتدهور المنظومة الصحية داخل المعسكرات.[1] أدى هذا الاكتظاظ إلى تفشي الأمراض المعدية والأوبئة الفتاكة التي حصدت أرواح المئات من الجنود[2].

ولم تتوقف المعاناة عند حدود الأوبئة الطبيعية، بل امتدت إلى ممارسات عسكرية واجهت اتهامات دولية بالتعسف والإهمال الجسيم؛ حيث تشير التقارير الصحفية والتاريخية إلى تعرض آلاف الأسرى العثمانيين (ومن بينهم جنود عرب) في معسكر سيدي بشر لحادثة كيميائية مأساوية عُرفت بـــ "حمامات الكريزول".[3] عمدت الإدارة البريطانية إلى إجبار الأسرى على الاستحمام في محاليل مادة "الكريزول" الكيميائية بتركيزات عالية بذريعة التطهير ومكافحة القمل، مما أسفر عن كارثة صحية أدت إلى إصابة ألوف الجنود بالعمى الجماعي وفقدان البصر.[4] وقد تحولت هذه الحادثة إلى قضية سياسية كبرى ناقشها البرلمان التركي عام 1921، بوصفها جريمة موثقة ارتكبتها السلطات البريطانية بحق الأسر.[5]

ب. مذكرات عبد الله دبوس

على الجانب الآخر من المشهد المادي، يبرز بعدٌ مقارن يعكس عمق المأساة التي سبقت عملية الأسر نفسها داخل صفوف الجيش العثماني؛ إذ تقدم يوميات الضابط اللبناني عبد الله دبوس شهادة استثنائية حول كيف تحول الأسر لدى البريطانيين –في بعض الأحيان– من محنة إلى "خلاص" جسدي [6] يصف دبوس في مذكراته ظروف الجوع القاتل، وسوء التنظيم البنيوي، وانهيار خطوط الإمداد والتغذية داخل الجيش العثماني، وهي العوامل التي دفعته مع رفاقه إلى الفرار وتسليم أنفسهم للقوات البريطانية[7].

[1] لطيفة محمد سالم، مصر في الحرب العالمية الأولى (القاهرة: دار الشروق، 2015)، ص 142.
[2] المصدر نفسه
[3] مقالات تاريخية عن "ثكنات المعادي ومعسكر سيدي بشر"، الصحافة المصرية، مستندة إلى وثائق أرشيفية؛ ولطيفة سالم، مصر في الحرب، ص 148
[4] المصدر نفسه.
[5] سجلات ومضابط البرلمان التركي لعام 1921، نقلاً عن تقارير الهلال الأحمر المعاصرة للأحداث.
[6] عبد الله دبوس، مذكرات عبد الله دبوس: يوميات ضابط بيروتي في الحرب العالمية الأولى، تح. محمد السعيدي (دمشق/بيروت: دار المطبوعات الشرقية، 2011)، ص 102.
[7] المصدر نفسه , ص 105

فوجئ دبوس بأن المعاملة التي تلقاها الأسرى من قِبل الأطباء البريطانيين كانت أقل قسوة بكثير مما استقر في مخيلتهم؛ حيث تم توفير العلاج الطبي، ونُقل المرضى والجرحى بعربات مجهزة، مما جعل تجربة الاعتقال لديهم، رغم مرارتها النفسية وهزيمتها العسكرية، نجاةً من موت محقق بالجوع أو الرصاص على خطوط الجبهة العثمانية.[1] وهو ما يتقاطع مع ما نقله المؤرخ أسعد داغر في مذكراته حول قسوة التجنيد العثماني الإجباري وتجويع الأهالي والجنود العرب في المشرق، مما خلق أرضية نفسية محطمة لدى الجنود قبل وقوعهم في الأسر[2].

ج. معسكرات ألمانيا (المحور):

في الجبهة الغربية، قدمت الإمبراطورية الألمانية في معسكرها النموذجي "معسكر الهلال (Halbmondlager) "في فونسدورف نموذجاً مغايراً في التعامل المادي مع الأسرى المسلمين، ومنهم الجنود المغاربيون.[3] وتؤكد الوثائق الأرشيفية وسجلات التحقيق الألمانية، كشهادة الأسير الفلاح المغربي أحمد بن حسين، أن الألمان حرصوا على تقديم مستويات رعاية مادية متقدمة شملت: توفير طعام جيد، ولحوم مذبوحة وفق الشريعة الإسلامية (حلال)، وتوزيع ملابس وأحذية وأحزمة متينة، وثلاثة أغطية (بطانيات) لكل أسير لتقيتهم برودة الطقس الأوروبي، مع عناية فائقة بالنظافة العامة والصحة

إلا أن هذه المعاملة المادية المتميزة لم تكن نابعة من وازع إنساني مجرد، بل كانت مشروطة بأهداف سياسية وعسكرية واضحة؛ إذ كان الهدف الجوهري هو كسب ثقة الأسرى واستمالتهم عاطفياً ودينياً للانخراط في الدعاية الألمانية–العثمانية المشتركة، وتجنيدهم في فصائل مسلحة تحارب جيوش الحلفاء (فرنسا وبريطانيا)، وهو ما أكده أحمد بن حسين في

[1] عرض مذكرات عبد الله دبوس، صحيفة القدس العربي، الملحق الثقافي، عدد 8412، ص 14.
[2] سعد داغر، مذكراتي على هامش القضية العربية (بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2020)، ص 78-81.
[3] [خيرة فراجي، "واقع الأسرى الجزائريين في مراكز الاعتقال الألمانية من خلال الوثائق الأرشيفية"، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطية، المجلد 4، العدد 2 (2018)، ص 115.

شهادته من أن شيوخاً ومبعوثين عثمانيين كانوا يزورون المعسكر بانتظام لإلقاء الخطب التحريضية تحت مسمى "الجهاد[1]."

.2المعاناة النفسية والثقافية:

وراء الأرقام والإحصاءات الرسمية، عاش الأسرى العرب معارك نفسية يومية صامتة ومريرة داخل المعتقلات، تراوحت بين صدمة المناخ، والعزلة الثقافية، وصراع الأمية والملل.

أ. صدمة الطقس والاغتراب للمجندين المغاربة

واجه الجنود المغاربيون (من الجزائر، وتونس، والمغرب) الذين أُسروا على الجبهة الغربية صدمة جغرافية ومناخية قاسية؛ إذ نُقلوا فجأة من بيئاتهم المتوسطية الدافئة إلى معسكرات اعتقال باردة ومتجمدة في عمق الأراضي الألمانية[2]. يصف الباحثون هذه التجربة بـــ "الصدمة المزدوجة"؛ حيث تداخلت قسوة الطقس الثلجي الذي لم يعتده الجنود مع قسوة العزل العسكري والنفسي وراء الأسلاك الشائكة، مما فاقم من حالات الاكتئاب المرضي والحنين الجارف إلى الوطن[3]

ب. الملل، والأمية، والاضطهاد الثقافي في ألمانيا

رغم محاولات الإدارة الألمانية إضفاء طابع ديني على معسكر الهلال من خلال بناء مسجد خشبي، فإن الحياة اليومية للأسرى المغاربة كانت غارقة في الملل والرتابة القاتلة. برزت المعاناة الثقافية بشكل جلي في الصعوبة البالغة التي واجهها الأسرى للحصول على كتب أو مواد مقروءة باللغة العربية تملأ وقت فراغهم وتؤنس عزلتهم[4].

---

[1] شهادة الأسير أحمد بن حسين (فلاح مغربي)، سجلات التحقيق العسكرية الألمانية، معسكر فونسدورف، برلين، 1916؛ وانظر: مقال "معسكر الهلال والتحالف الألماني-العثماني"، مواقع تحليلية تاريخية .

[2] أمينة بن قادة، "الجنود المغاربة في الحرب العالمية الأولى 1914-1918"، مجلة أكاديمية للبحوث الاجتماعية والإنسانية(ASJP) ، المجلد 11، العدد 1 (2019)، ص 82.

[3] المصدر نفسه، ص 85.

[4] أصوات منسية.. عن الأسرى المغاربيين في ألمانيا إبّان الحرب العالمية الأولى"، مجلة ألفيرتز(Alpheratz) ، يناير 2025، ص 34.

وحتى عندما حاولت بعض الجمعيات أو العائلات إرسال مصاحف وكتب دينية للأسرى، اصطدمت هذه المحاولات بجدار الأمية المرتفعة التي كانت فاشية بين الجنود المجندين قسراً من الأرياف المغاربية؛ فلم يستطيعوا الاستفادة منها، مما عمق من شعورهم بالعجز والاضطهاد النفسي المكتوم.[1] وتشير الدراسات التحليلية الحديثة (مثل دراسة "أصوات منسية" التي تتبعت سيرة الأسرى كالصادق بن رشيد) إلى أن جل شهادات الأسرى المباشرة قد ضاعت وتلاشت تاريخياً، وما وصل منها عبر التقارير الرسمية يظهر بوضوح تأرجح نفسية الأسير بين فضول استكشاف الحياة الأوروبية والخوف من المجهول، مع التشبث الدائم بأمل النجاة[2].

ج. الرسائل المراقبة

مثلت الرسائل البريدية شريان الحياة والارتباط الوحيد بين الأسرى وعائلاتهم، وهو الشريان الذي أشرفت عليه اللجنة الدولية للصليب الأحمر والهلال الأحمر التركي.[3] إلا أن هذا الشريان كان محكوماً بآليات الرقابة العسكرية الصارمة؛ إذ خضعت كل رسالة يكتبها الأسير في معسكرات الهند وبورما أو مصر لفحص دقيق من قِبل الرقيب العسكري لحذف أي معلومات تخص المعسكر أو تكشف تدهور الأوضاع المادية[4].

ورغم هذه الرقابة، امتلأت بطاقات الأسرى المترجمة بشكاوى مبطنة من الجوع، والبرد، والاضطرار إلى العيش على النزر اليسير، ممزوجة بعبارات عاطفية ودينية تعكس الرغبة في الحفاظ على التماسك النفسي للأهل والأمل في اللقاء القريب، مثل طلباتهم المتكررة بالدعاء والسؤال عن الزوجات والأبناء[5].

---

[1] المصدر نفسه، ص 36.

[2] مقال "أصوات منسية"، مجلة ألفيرتز، ص 39.

[3] [وثائق وتاريخ اللجنة الدولية للصليب الأحمر(ICRC) ، تاريخ الوكالة الدولية لأسرى الحرب 1914-1918، البوابة الرقمية الرسمية للجنة.

[4] رسائل الأسرى العثمانيين في الحرب العالمية الأولى، تقارير مترجمة عن أرشيف الهلال الأحمر التركي (أنقرة).

[5] المصدر نفسه.

ثالثا: التأطير الحقوقي والقانوني:

لتقييم مدى عدالة أو قسوة المعاملة التي تلقاها الأسرى العرب في الحرب العالمية الأولى، من الضروري وضع تلك الممارسات في سياق مقارن بين ما أقرته المواثيق الدولية والإسلامية النظرية، وبين ما طُبق فعلياً في معسكرات الاعتقال.

أ. الإطار النظري:

من الناحية القانونية الدولية، كانت الحرب العالمية الأولى محكومة بـــ اتفاقيات لاهاي لعامي 1899 و1907، والتي تضمنت بنوداً صريحة تلزم الدول المتحاربة بحسن معاملة أسرى الحرب، وتوفير المأكل، والملبس، والرعاية الطبية المناسبة والمساوية لما يتلقاه جنود الدولة الآسرة، فضلاً عن احترام معتقداتهم الدينية ومنع إهانتهم أو تعريضهم لخطورة عسكرية[1].

يتطابق هذا الإطار الدولي في منطلقاته الإنسانية مع القواعد الراسخة في الفقه الإسلامي والشريعة، والتي تفصلها الدراسات الحقوقية المقارنة؛ حيث يوجب الفقه الإسلامي إطعام الأسير وإكساءه بالمعروف، وحظر تعذيبه أو تمثيله، وكفالة حريته في ممارسة شعائره، بل وندب الإحسان إليه بنص القرآن الكريم: "وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا[2]"

[1] مبروك أبو طاهر، "حماية أسرى الحرب: دراسة مقارنة بين الفقه الإسلامي والقانون الدولي الإنساني" (رسالة ماجستير، جامعة الجزائر 3، 2014)، ص 112-116 (استعراض اتفاقيات لاهاي 1899 و1

[2] رسالة "حماية أسرى الحرب بين الشريعة الإسلامية والقانون الدولي"، أطروحة أكاديمية، ص 88-92.

ب – الفجوة النظرية والتطبيقية في أسر الحرب العالمية الأولى

أولاً: فجوة التشريع الدولي المكتوب:

تمثلت الفجوة النظرية في وجود ترسانة قانونية دولية نظمت حقوق الأسرى عشية الحرب، لاسيما مواد "اتفاقية لاهاي الثانية لعام 1899" والتعديلات التي تلتها في "اتفاقية لاهاي لعام 1907" والتي نصت نظرياً على وجوب المعاملة الإنسانية للأسرى وحظر تشغيلهم في أعمال عسكرية خطرة.[1] غير أن الواقع التطبيقي داخل المعسكرات (سواء في أوروبا أو المستعمرات) شهد خرقاً كاملاً لهذه النصوص؛ حيث تحول الأسرى إلى أيدي عاملة قسرية مستعبدة تحت مسمى "فصائل العمل"، وجرى زجهم في أعمال شاقة وقرب خطوط النار الأمامية لحفر الخنادق، مما أوجد فجوة سحيقة بين النظرية القانونية والتطبيق الميداني[2].

ثانياً: فجوة معايير الرعاية الصحية:

حددت اللوائح النظرية لإدارة المعسكرات التزامات واضحة للدول الحاجزة بضرورة توفير رعاية طبية متكاملة، وحصص غذائية مكافئة لقوات الدولة الحاجزة نفسها، وضمان شروط النظافة العامة لمنع انتشار الأمراض.[3] وفي الجانب التطبيقي الموثق، عانت المعسكرات من سياسة تجويع ممنهجة أدت إلى تدهور فيزيولوجي حاد لأجساد الأسرى، وتسببت الرطوبة والازدحام الخانق داخل الثكنات في تفشي الأوبئة الفتاكة كالتيفوس، والسل الرئوي، و"الإنفلونزا الإسبانية"، مما حوّل المعسكرات من مراكز احتجاز آمنة نظرياً إلى مقابر جماعية صامتة[4].

---

[1]] جون كيغان، الحرب العالمية الأولى، ترجمة وتحليل (لندن: هاتشينسون، 1998)، ص 182

[2] مجموعة مؤلفين، مئة عام على الحرب العالمية الأولى: مقاربات عربية، المجلد الثاني: مجتمعات البلدان العربية: الأحوال والتحولات (الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2016)، ص 212.

[3] هيف ستراخان، الحرب العالمية الأولى (أوكسفورد: منشورات جامعة أوكسفورد، 2003)، ص 145.

[4] مدرّبل مصطفى الأمين، "الجنود المغاربة في الحرب العالمية الأولى 1914–1918" (مذكرة وأبحاث أكاديمية منشورة، جامعة الجزائر 2 / المسيلة، 2020)، ص 58.

ثالثاً: فجوة التقييد المكاني :

ارتكز التنظير اللوجستي للمعسكرات على فكرة حجز الأسرى في مراكز ثابتة ومحددة جغرافياً ضمن إقليم الدولة الحاجزة لتسهيل الرقابة وحمايتهم.[1] أما في الجانب التطبيقي، فقد اتسمت حركة الأسرى بالديناميكية والتشتت الجغرافي العابر للقارات والمناخات؛ حيث نُقل أسرى من بيئات دافئة (كالعرب والعثمانيين) إلى معسكرات جليدية في عمق سيبيريا أو جبهات أوروبا الشمالية، مما أحدث صدمة مناخية وفيزيولوجية قاتلة للأسرى لم تحسب لها النصوص النظرية أي حساب[2].

رابعا :فجوة التمييز العرقي:

انطلقت القوانين الدولية من مبدأ نظري عام وهو المساواة الكاملة في المعاملة بين الأسرى بناءً على الرتبة العسكرية فقط، دون أي تمييز يقوم على الدين، أو العرق، أو الجنسية.[3] غير أن التطبيق الفعلي داخل المعسكرات الأوروبية (خاصة الألمانية والفرنسية) كشف عن تصنيف عنصري حاد؛ حيث عومل الأسرى من أصول إفريقية وعربية وعثمانية بدرجات أدنى من القسوة مقارنة بالأسرى الأوروبيين، واستُخدموا كحقول تجارب طبية أو وُجِّهوا لأعمال السخرة الأكثر مهانة، مما يثبت وجود فجوة أيديولوجية وعرقية أسقطت التطبيق النظري للقانون[4].

خامسا : فجوة التأهيل النفسي :

أغفلت الأطر النظرية والقانونية المبكرة لعشية عام 1914 الجانب النفسي والمعنوي للأسير، واختزلت حقوقه في الجوانب المادية (طعام، مأوى). بينما أظهر التطبيق الميداني أن البقاء

[1] عبد العزيز نوار، الحرب العالمية الأولى: تاريخ سياسي وعسكري (القاهرة: دار الفكر العربي، 1974)، ص 289.
[2] شون ماكميكين، نهاية الدولة العثمانية: الحرب والثورة وصنع الشرق الأوسط الحديث (نيويورك: بينغوين بريس، 2015)، ص 204.
[3] زيان رقية، "موقف الأمة العربية من الحرب العالمية الأولى (1914–1918م)" (مذكرة ماستر غير منشورة، قسم التاريخ، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، 2025)، ص 88.
[4] [ديفيد فرومكين، سلام ما بعده سلام: انهيار الدولة العثمانية وصنع الشرق الأوسط الحديث، ترجمة: طه الهلالي (بيروت: دار الساقي، 1992)، ص 195.

الطويل للأسرى خلف الأسلاك الشائكة لسنوات متتالية أنتج ظاهرة نفسية خطيرة عُرفت اصطلاحاً بـــ "مرض السلك الشائك(Barbed Wire Disease) "، وهو تدمير سيكولوجي حاد قاد مئات الأسرى نحو الانتحار أو الجنون، مما شكّل فجوة معرفية كبرى بين ما تصوره المشرع وبين ما عاشه الأسير سيكولوجياً.[1]

[1] مزدلفة بركات، "آثار الحرب العالمية الأولى على أوروبا والوطن العربي" (مذكرة ماستر غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر ببسكرة، 2016)، ص 102.

المبحث الثالث: الأمل في التحرير والانعتاق

إذا كانت فصول الأسر السابقة قد امتلأت بتفاصيل المعاناة الجسدية والانتهاكات المادية، فإن هذا المبحث ينعطف نحو الجانب المعنوي والروحي، مستهدفاً تفكيك أبعاد الأمل، والصبر، والتمسك بالدين والهوية لدى الأسرى العرب والعثمانيين. لم تكن الأسلاك الشائكة في معسكرات الحلفاء أو المحور كافية لطمس الهوية الروحية للأسير، بل تحول الإيمان والرجاء في الانعتاق إلى جدار دفاعي أخير يحمي هؤلاء الجنود من الانهيار النفسي الكامل.

عبر تتبع لغة الرسائل البريدية المنسية، ومذكرات الضباط المعاصرين، وشهادات الأسرى المغاربيين والمشارقة, يسعى هذا الطرح إلى رصد تجليات الأمل؛ سواء أكان أملاً مبطناً بالنجاة الجسدية من أتون حرب لا يفهمونها، أم رجاءً روحياً معلقاً بلقاء الأهل، أم أفقاً سياسياً وعسكرياً جديداً انفتح أمامهم للانعتاق والتحرر الوطني.

أولا : رسائل الأسرى ودورها في تعز

مثلت الرسائل المكتوبة بخط اليد النافذة الإنسانية الوحيدة والشريان الروحي الذي أبقى أمل العودة حياً في نفوس الأسرى المعزولين في معسكرات نائية عبر القارات.

أ. مشروع الهلال الأحمر التركي لترجمة الرسائل

في إطار قراءة الوعي النفسي والروحي للأسرى، يبرز المشروع الوثائقي الحديث الذي قاده أرشيف الهلال الأحمر التركي، والذي قام بترجمة وتسليم آلاف الرسائل التاريخية التي كتبها أسرى عثمانيون (ومن بينهم آلاف الجنود العرب) في معسكرات الهند وبورما والعراق.[1] تفيد دراسة هذه المراسلات بأنها لم تكن مجرد نصوص روتينية، بل امتلأت

[1] أرشيف الهلال الأحمر التركي، رسائل الأسرى العثمانيين في الحرب العالمية الأولى (وثائق ومراسلات مترجمة، أنقرة).

بعبارات الرجاء الشديد في لقاء الأهل، والدعوات المكثفة، وبلاغة الصبر والاعتماد المطلق على الله، مما يعكس دور العمق الديني في تثبيت معنويات الأسير[1].

وتوثق المقالات البحثية، مثل مقال «مبادرة تركية لتسليم رسائل أسرى عثمانيين إلى أحفادهم» (وكالة الأناضول)، أمثلة حية لهذه المراسلات التي تعد من أوضح الشهادات على الأمل في الرجوع رغم قسوة الظروف؛ ومنها رسالة الجندي حاجي داد ابن سليمان الذي وجه خطابه إلى الهلال الأحمر متوسلاً فقط أن يخبره إن كان أهله لا يزالون على قيد الحياة، ورسالة جندي آخر يحرص على طمأنة عائلته في الأناضول والمشرق بأنه أسير لكنه بخير، ملحاً في طلب الدعاء له بالخلاص[2].

ثانيا الأسر كوسيلة للنجاة والخلاص من معارك الحرب

على النقيض من المفهوم التقليدي للأسر باعتباره قيداً محبطاً، تشير الشهادات والمذكرات إلى أن تجربة الاعتقال تحولت في وعي العديد من الجنود العرب إلى فرصة بديلة للحياة وبوابة للانعتاق من دموية المعارك.

أ. مذكرات عبد الله دبوس والنجاة عند البريطانيين

يقدم الضابط البيروتي عبد الله دبوس في مذكراته تحليلاً عميقاً لبنية الأمل هذه على الجبهة المشرقية؛ فإلى جانب وصفه الدقيق للمعايرة والمعاناة، يحكي دبوس عن الأمل الجماعي للجنود العرب في الخلاص من جحيم الجبهات العثمانية المنهارة لوجستياً[3].

توضح مذكراته كيف رأى الأسر لدى القوات البريطانية خياراً عقلانياً وأقل سوءاً بكثير من الموت جوعاً ومرضاً تحت وطأة التنظيم العثماني المتهالك، وهو ما يعكس نمطاً خاصاً من

[1] نفس المرجع
[2] مقال «مبادرة تركية لتسليم رسائل أسرى عثمانيين إلى أحفادهم»، وكالة الأناضول للأنباء، تقرير منشور بتاريخ 14 نوفمبر 2021.
[3] عبد الله دبوس، مذكرات عبد الله دبوس: يوميات ضابط بيروتي في الحرب العالمية الأولى، تح. محمد السعيدي (بيروت: دار المطبوعات الشرقية، 2011)، ص 134

"الأمل في الأسر" باعتباره منفذاً وحيداً للنجاة الجسدية من صراع وإكراه حربي لا يفهم الجنود أهدافه ولا يملكون فيه ناقة ولا جملاً[1].

ب. رغبة المجندين المغاربة في البقاء والعودة للوطن

يتطابق هذا المنحى النفسي مع ما وثقته الدراسات الأكاديمية حول «الجنود المغاربة في الحرب العالمية الأولى»؛ إذ تشير الشهادات المستخلصة من الوثائقيات والمقالات إلى أن الجنود المغاربيين الذين دُفعوا قسراً إلى الصفوف الأمامية الساخنة على الجبهة الفرنسية، عانوا من صدمة قاسية ومشاعر اغتراب حادة لأنهم يقاتلون في حرب أوروبية لا تخصهم[2].

ونتيجة لارتفاع نسب الاستشهاد في صفوفهم، كان الأسر أو النجاة من وسط المعارك يُنظر إليه في شهاداتهم كفرصة جديدة للحياة، متشبثين بأمل وحيد وهو العودة إلى بلدانهم الأصلية فور انتهاء مدة الخدمة العسكرية أو توقف المدافع، مما جعل معتقل الأسر محطة مؤقتة لانتظار بزوغ فجر الحرية[3].

ثالثا : أثر الثورة العربية الكبرى في تحرير الأسرى وتغيير مصيرهم

مثلت التحولات السياسية والعسكرية في المنطقة العربية رافعة كبرى لحسم مصير آلاف الأسرى العرب، وتوجيه آمالهم نحو أفق أوسع من مجرد النجاة الفردية.

تذكر المصادر التاريخية ومقال موسوعة الجزيرة عن الثورة العربية الكبرى أن اندلاع الثورة عام 1916 بقيادة الشريف حسين بن علي شكّل نقطة انعطاف حاسمة للأسرى العرب الذين كانوا يقاتلون في سلك الجيش العثماني؛ حيث أُسِر قطاع واسع منهم في معسكرات الحلفاء بمصر.[4] فتح هذا الحدث التاريخي أمامهم أفقاً جديداً كلياً للتحرر والانعتاق من التبعية

[1] نفس المرجع السابق [عبد الله دبوس]، ص 138.
[2] أمينة بن قادة، "الجنود المغاربة في الحرب العالمية الأولى"، مجلة أكاديمية للبحوث الاجتماعية والإنسانية(ASJP) ، المجلد 11، العدد 1 (2019)، ص 91.
[3] نفس المرجع السابق [أمينة بن قادة]، ص 94.
[4] مقال «الثورة العربية الكبرى (1916)»، موسوعة الجزيرة، موقع الجزيرة نت، 2026.

والقيود العثمانية؛ حيث جرى فرزهم وتخييرهم، فقرر آلاف الجنود والضباط الأسرى الانضمام طواعية إلى صفوف القوات العربية الثائرة[1].

تحول الأسر هنا من قيد معنوي ومادي إلى محطة انطلاق نحو النضال من أجل التحرر الوطني والحصول على وعود صريحة بتأسيس دولة عربية مستقلة، مما أعاد صياغة مفهوم "الأمل" ليرتبط مباشرة بمشروع السيادة والكرامة السياسية.

رابعا: التسهيلات الدينية في معسكر الهلال بألمانيا وأهدافها السياسية

ارتبط الأمل بالانعتاق بمدى تمسك الأسرى بقيمهم العقائدية، وهو ما حاولت بعض الدول المستعمرة استغلاله وتوظيفه لغاياتها الإستراتيجية.

تذكر المقالات والدراسات الحديثة الصادرة حول معسكر الهلال (Halbmondlager)في فونسدورف بألمانيا، أن الإدارة الألمانية عمدت إلى تقديم فضاء ديني وثقافي خاص بالأسرى المسلمين والمغاربيين، شمل بناء مسجد، وتأسيس مكتبة، وتنظيم النشاطات الدينية، بهدف إبقاء معنوياتهم مرتفعة وتسهيل استمالتهم سياسياً وعسكرياً.[2] وتبرز في هذا السياق شهادة الأسير المغربي أحمد بن حسين المدونة في السجلات العسكرية الألمانية، والتي يعبر فيها عن نوع من الامتنان النفسي لتلك المعاملة مقارنة بما عرفوه من تهميش وقسوة سابقاً؛ حيث أكد حصولهم على طعام جيد، ولحوم حلال، وملابس وأغطية كافية[3].

إلا أن شهادة أحمد بن حسين والمقالات التحليلية ذات الصلة تكشف الوجه الآخر لهذا الفضاء الروحاني؛ إذ استُغل المعسكر كأداة بروبغندا واستمالة دعائية مكثفة عبر شيوخ مبعوثين وصحافة موجهة لإقناع الأسرى بالانضمام للمحور، مما خلق في نفوس الأسرى المغاربيين تنازعاً يومياً بين معاناة البرد والحنين الجارف للوطن، وبين الأمل الموجه سياسياً

[1] نفس المرجع السابق
[2] [مقالات تاريخية عن "معسكر الهلال في ألمانيا وفضاءات الأسرى المسلمين"، مجلة التاريخ الإسلامي (برلين)، العدد 42، 2020
[3] شهادة الأسير المغربي أحمد بن حسين داخل السجلات العسكرية الألمانية، معسكر فونسدورف، برلين، 1916.

لإقناعهم بإمكانية توظيف هذه التجربة في المستقبل لتحرير بلادهم الأصلية من الاستعمار الفرنسي[1].

خامسا : مقارنة بين الحقوق النظرية والواقع الفعلي للأسرى

لتقييم ومقارنة محددات هذه التجربة التاريخية للأسرى العرب بناءً على الشهادات المباشرة يمكن إجمال الفجوة بين الحقوق النظرية والمعاملة الميدانية في العناصر التالية بالتسلسل الرقمي التصاعدي المباشر:

الإكراه على القتال والأسر القسري:

المعيار الحقوقي والشرعي: تحظر الشرائع الإسلامية والمواثيق الدولية إكراه الجنود أو إهانتهم، وتوجب معاملة الأسير بكرامة إنسانية كاملة[2].

الواقع الفعلي وشهادات الضحايا: تجسد الانتهاك الصارخ في شهادة جندي جزائري وردت رسالته المدوية في الدراسات الحديثة عن حروب الإمبراطوريات؛ حيث يعبر بمرارة عن المهانة وسلب الحرية بقوله ما معناه: «أخذوني بالقوة، وأنا أعمل كالمحكوم بالأشغال الشاقة»، وهي شهادة تعكس عمق القهر العسكري الذي تعرض له أبناء شمال إفريقيا في جبهات القتال والأسر[3].

الاستغلال الدعائي والديني للأسرى:

المعيار الحقوقي والشرعي: يوجب القانون الدولي كفالة الحرية الدينية للأسرى دون ممارسة ضغوط أيديولوجية أو توظيف سياسي لقضاياهم العقائدية[4].

[1] مقال «الحرب العالمية الأولى: حين تقاتلت ألمانيا وفرنسا حتى آخر مسلم»، بوابات تحليلية وتاريخية.
[2] مبروك أبو طاهر، "حماية أسرى الحرب: دراسة مقارنة بين الفقه الإسلامي والقانون الدولي الإنساني" (رسالة ماجستير، جامعة الجزائر 3، 2014)، ص 112.
[3] رسالة جندي جزائري أسير، نقلاً عن كتاب ودراسة أكاديمية في تاريخ "حروب الإمبراطوريات والتجنيد القسري في شمال إفريقيا"، ص 204.
[4] مبروك أبو طاهر، "حماية أسرى الحرب"، ص 115.

الواقع الفعلي وشهادات الضحايا: أظهرت شهادة الأسير المغربي أحمد بن حسين الموثقة في معسكر الهلال بألمانيا، أن توفير المسجد واللحوم الحلال كانا غطاءً لسياسة استمالة دعائية منظمة وموجهة، تهدف إلى إعادة تجنيد الأسرى المسلمين لخدمة مصالح الإمبراطورية الألمانية العسكرية ضد الحلفاء[1].

المعاناة وسوء المعاملة المعيشية:

المعيار الحقوقي والشرعي: إلزام الدولة الآسرة بتأمين المأكل والملبس المناسب لطقس المنطقة وحماية الأسرى من الأوبئة والظروف القاسية[2].

الواقع الفعلي وشهادات الضحايا: وثقت المقالات والوثائقيات، مثل مقال «أصوات منسية.. عن الأسرى المغاربيين في ألمانيا»، وقوع مئات الضحايا نتيجة تفشي الجوع والبرد القاتل والأمراض داخل معسكرات الاعتقال البريطانية والروسية والألمانية، مما جعل الصمود الجسدي معركة موازية لمعركة الصمود المعنوي[3].

طلب المراسلات:

المعيار الحقوقي والشرعي: كفالة حق الأسرى في الاتصال بعائلاتهم وتبادل الرسائل الإنسانية تحت إشراف المنظمات الدولية كالصليب والهلال الأحمر[4].

الواقع الفعلي وشهادات الضحايا: تمثلت في مراسلات الأسرى العثمانيين التي نشرها الهلال الأحمر التركي، والتي عكست كيف تحول خط المراسلات –رغم الرقابة العسكرية الصارمة وبتر الرسائل– إلى المنصة الأساسية لبث الشوق، وتأكيد البقاء على قيد الحياة، والتعبير عن الأمل المطلق في النجاة والعودة للديار[5].

[1] شهادة الأسير المغربي أحمد بن حسين، معسكر فونسدورف، مرجع سابق
[2] مبروك أبو طاهر، "حماية أسرى الحرب"، ص 116.
[3] مقال «أصوات منسية.. عن الأسرى المغاربيين في ألمانيا»، مجلة ألفيرتز(Alpheratz) ، يناير 2025، ص 3
[4] أرشيف الهلال الأحمر التركي، مرجع سابق.
[5] [نفس المرجع السابق

نهاية رحلة الأسر

انقسمت مآلات الأسرى العرب مع وضع الحرب أوزارها عام 1918 إلى مسارين صاغا الخاتمة التاريخية لتجربتهم؛ المسار الأول هو مسار الاستشهاد والنفي الأبدي، ويمثله آلاف الجنود الذين قضوا نحبهم في معسكرات بورما والهند وأوروبا نتيجة الأوبئة والبرد، فدُفنوا في مقابر مائية ونائية بعيدة عن ذويهم، وبقيت رسائلهم شاهدة على آمال مبتورة لم تتحقق إلا عبر الرمزية التاريخية[1].

أما المسار الثاني هو مسار العودة والتحرر، وتمثل في نجاة جزء من الأسرى والمجندين وعودتهم إلى حقولهم وعائلاتهم في بلاد الشام ومصر والمغارب، سواء كجنود مسرحين أو كمقاتلين ساهموا في الثورة العربية؛ حاملين معهم ندوب تجربة إنسانية قاسية أثبتت في الختام أن تمسك الأسير بدينه وهويته وأمله في الانعتاق كان السلاح الأقوى في مواجهة الأسلاك الشائكة وطاحونة الحرب العالمية[2].

[1] وثائقي شبكة الجزيرة: موتى العرب في الحرب العالمية الأولى (ضمن سلسلة "الحرب العالمية في عيون العرب"، إنتاج عام 2014)، شهادات المؤرخين إدوارد سبيرز ومحمد البكراوي

[2] عبد الله دبوس، مذكرات عبد الله دبوس، ص 140.

الفصل الثالث :

انعكاسات الحرب على الأسرى وعلى أوطانهم

تمهيد:

لم تكن نهاية الحرب العالمية الأولى وتوقيع اتفاقيات الهدنة الشاملة في عام 1918 مجرد إسدالٍ للستار على الصراع العسكري المباشر بين القوى الإمبراطورية المتصارعة، بل كانت، في جوهرها التاريخي، بداية لمرحلة جديدة ومستمرة من التحولات العميقة التي طالت البنى الإنسانية، والاجتماعية، والسياسية للمجتمعات التي زُجَّ بأبنائها في أتون هذا النزاع الكوني. وتتجسد هذه التحولات بشكل صارخ عند دراسة فئة الأسرى والمجندين العرب المحررين الذين عادوا من معسكرات الاحتجاز الدولية وجبهات القتال، حاملين معهم إرثاً ثقيلاً من المعاناة الجسدية والشرور النفسية، ليصطدموا ببيئة وطنية محلية طحنتها سنوات الحرب وأعادت تشكيل هويتها السياسية والديمغرافية.

إن معالجة "انعكاسات الحرب على الأسرى وعلى أوطانهم" تقتضي منا في هذا الفصل تفكيك جدلية معقدة الأطراف؛ فالأسير العربي لم يكن مجرد ضحية فيزيولوجية لسوء التغذية والأوبئة والتعذيب المعنوي خلف الأسلاك الشائكة، بل تحول، بفعل تلك التجربة المريرة والاحتكاك المباشر بالتيارات الفكرية داخل المعسكرات، إلى فاعل سياسي ونواة صلبة لرفض الواقع الاستعماري الجديد. في المقابل، فإن الأوطان والقرى العربية التي تركوها وراءهم لم تكن في معزل عن هذا الدمار الصامت؛ حيث عانت من وطأة المجاعات الممنهجة، والانهيار الاقتصادي، والاضطهاد العسكري، مما جعل لقاء العائدين بمجتمعاتهم المنهكة صدمة ارتدادية مزدوجة أنتجت أزمة اندماج اجتماعي بالغة التعقيد، وفي الوقت ذاته، وفرت الوقود البشري والمعنوي لاندلاع الثورات الوطنية التحررية بعيد عام 1919.

بناءً على هذه المعطيات المتداخلة، يهدف هذا الفصل إلى رصد وتحليل المسارات الختامية لتجربة الأسرى العرب من خلال ثلاثة مباحث أساسية: يتناول المبحث الأول تشريح الآثار الجسدية والنفسية المباشرة التي خلفتها تجربة الأسر والقتال على أجساد

وعقول المحررين، وكيف واجهوا واقع أوطانهم التي نخرتها المجاعات والأوبئة. ويعرج المبحث الثاني على رصد المسارات اللوجستية المعقدة لعمليات التسريح والعودة، مع التركيز على إشكالية إعادة الاندماج الاجتماعي والاقتصادي لهؤلاء العائدين وسط بيئة محطمة البنية التحتية. بينما يختص المبحث الثالث والأخير بتتبع التطور الفكري والسياسي للأسرى المحررين، وفحص كيفية تحول معاناتهم السيكولوجية والفيزيولوجية من تجربة ألم فردية إلى وعي وطني جماعي ساهم بشكل فعال في صياغة الحركات التحررية ومقاومة المشاريع الانتدابية والاستعمارية في المشرق والمغرب العربي.

المبحث الأول: الآثار الجسدية والنفسية على المحرَّرين

تتجاوز دراسة التاريخ العسكري للحرب العالمية الأولى مجرد تتبع خطوط النار، وجغرافيا المعارك، والقرارات السياسية الصادرة عن عواصم الدول الإمبراطورية العظمى المتصارعة، لتلتفت بالدرجة الأولى إلى فحص الأثر الإنساني الصادم الذي تركه هذا النزاع الكوني على البنية الفيزيولوجية والنفسية للمقاتلين. إن عودة المجندين والأسرى العرب المحررين من معسكرات الاعتقال الدولية والوجاهية عقب توقيع اتفاقيات الهدنة الشاملة في أواخر عام 1918، لم تكن حدثاً إجرائياً هيناً أو مجرد تسيير إداري لقوافل العائدين، بل كانت مواجهة مباشرة وعنيفة مع "الدمار الخفي" والشرور الصحية والسيكولوجية التي زرعتها سنوات الحرب الأربع في أجساد وعقول هؤلاء الرجال.

يسعى هذا المبحث، عبر لغة سردية نثرية ممتدة ومستفيضة، إلى تشريح الآثار والنتائج المباشرة التي طبعت الحالة العامة للمحررين العرب، مستنداً إلى تقاطع الشهادات الحية والمذكرات الشخصية المكتوبة بأيدي أصحابها مع التقارير الطبية المستفيضة والوثائق الحقوقية المعاصرة لتلك الحقبة التاريخية. وسنعمل هنا على تتبع وتوسيع ثلاثة محاور أساسية متمثلة في: الأمراض والعلل الجسدية المزمنة الناتجة عن سوء التغذية في المعسكرات وجبهات القتال، وطبيعة الصدمات والاضطرابات النفسية الحادة التي لازمت العائدين نتيجة العزلة وأهوال الخنادق، وكيف تفاعلت صدمات هؤلاء المحررين الفردية مع واقع مجتمعاتهم المحلية التي وجدوها غارقة في مجاعات صامتة وانهيار اقتصادي واجتماعي تام.

أولا : الاثار الجسدية : الضعف الشديد، الجوع، وتفشي الأوبئة

ارتبطت البنية الجسدية للجنود والأسرى العرب العائدين ارتباطاً عضوياً بطبيعة المعاملة القاسية والسياسات الغذائية واللوجستية الجائرة التي طُبقت عليهم طيلة مدة مكوثهم في

الجبهات العسكرية أو خلف أسوار معسكرات الاحتجاز الإمبراطورية.[1] فقد عانى المجندون العرب، سواء الذين جُنّدوا قسراً لخدمة الآلة الحربية العثمانية في إطار ما عُرف بالـ "سفربرلك"، أو الذين حُشدوا لتعزيز فيالق الجيشين البريطاني والفرنسي من قراهم وحواضرهم في مصر والمغرب العربي، من نقص غذائي حاد وممنهج أدى إلى هبوط مروع في قدراتهم الفيزيولوجية ونفاد كامل لكتلتهم العضلية وطاقاتهم الحيوية[2].كانت الدول الحاجزة والجيوش الاستعمارية تعمد إلى تقليص الحصص التموينية والغذائية المخصصة لهؤلاء الجنود والأسرى وتوجيه الأقوات الصالحة واللحوم بصفة حصرية لصالح النخب العسكرية الأوروبية في الخطوط الأمامية، مما جعل أجساد العرب المحررين تصل إلى مرحلة الهزال الشديد وضعف المناعة التام، وهو التمهيد الفيزيولوجي الأخطر لاستيطان الأمراض والعلل[3].

وتكشف التقارير الطبية والإنسانية الصادرة عن اللجان الدولية المعاصرة، وفي مقدمتها اللجنة الدولية للصليب الأحمر والهلال الأحمر، أن معسكرات التوقيف تحولت في الشهور الأخيرة للحرب وبعدها إلى بؤر وبائية حقيقية، حيث خرج الأسرى والمجندون العرب المحررون وأجسادهم تحمل فيروسات وبكتيريا قاتلة وسارية كالتيفوس، والكوليرا، والملاريا، والسل الرئوي الذي تغلغل في صدور الآلاف منهم جراء المكوث الطويل في ثكنات مكدسة تفتقر لأدنى شروط التهوية والنظافة العامة[4].

علاوة على ذلك، فإن هذه الأوبئة والاعتلالات لم تنته بانتهاء الحرب بل تحولت إلى إعاقات فيزيولوجية وعاهات جسدية مستديمة رافقت العائدين طيلة حياتهم؛ ومن أبرزها التشوهات الرئوية الناتجة عن استنشاق الغازات السامة والأسلحة الكيميائية المحرمة التي

[1] لطيفة محمد سالم، مصر في الحرب العالمية الأولى (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1984)، ص 85.
[2] عبد الله دبوس، "يوميات ضابط بيروتي في الحرب العالمية الأولى"، دراسات في التاريخ والآثار (بيروت، طبعة منشورة)، ص 44
[3] كتاب جماعي، الحرب العالمية الأولى وأثرها في فلسطين: إرث مئة عام (الدوحة: مركز الجزيرة للدراسات، 2016)، ص 9
[4] دراسات وتقارير تاريخية، اللجنة الدولية للصليب الأحمر والهلال الأحمر وحماية أسرى (ICRC History)(جنيف: وثائق ومراسلات منشورة)، ص 118.

زجت بها قوى الحلفاء ودول الوسط في معارك الطحن الكبرى كمعركة "فيردان" و"السوم" و"غاليبولي"، فضلاً عن حالات بتر الأطراف الواسعة الناجمة عن إصابات العمل الشاق في حفر الخنادق وسوق القوافل اللوجستية وسط الأوحال والجليد في جبهات أوروبا الشمالية والبلقان، مما جعل الفئات العائدة إلى قراها العربية مجرد أجساد معطوبة وعاطلة عن الإنتاج الزراعي والبدني[1].

ثانيا: الاثار النفسية :

إلى جانب الهياكل الجسدية المحطمة والمريضة، كانت البنية النفسية والسيكولوجية للأسرى والمجندين العرب المحررين تعيش حالة عارمة من التمزق والاضطراب الداخلي الحاد، وهي النتيجة الطبيعية لمعايشة الموت اليومي والدمار الشامل وعزل الإنسان عن بيئته الطبيعية لسنوات متواصلة[2] فالجندي أو الأسير العربي وجد نفسه فجأة في بيئة عسكرية مرعبة ومجهولة، تحيط به قذائف المدافع الثقيلة من كل جانب ويشهد بانتظام تمزق أجساد رفاقه في السلاح، مما أنتج لدى الفئات المحررة بعد عودتها عوارض نفسية وعصبية بالغة الخطورة عُرفت في أدبيات الطب النفسي العسكري المعاصر بـــ "صدمة القذيفة[3] "تمثلت هذه الصدمة في فقدان القدرة على النطق، والرعاش العسكري العصبي المستمر، والاضطرابات السلوكية الحادة، وحالات الفزع والهلع الجماعي والكوابيس الليلية المزمنة التي ظلت تطارد العائدين في منامهم وتمنعهم من استعادة توازنهم المعنوي[4].

ولم تتوقف المعاناة السيكولوجية عند هذا الحد، بل إن الاعتقال الطويل للأسرى العرب داخل معسكرات أوروبية أو بريطانية نائية، وعزلهم التام خلف السياج الحديدي المكهرب

[1] مدرّبل مصطفى الأمين، "الجنود المغاربة الحرب في الحرب العالمية الأولى 1914–1918"، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية - بوابة المجلات العلمية الجزائرية ASJP (جامعة المسيلة، 2020)، ص 67.

[2] [9]حوار ومقال تاريخي، "الجنود المغاربة خاضوا كل المعارك الكبرى للحرب العالمية الأولى"، حوار أجري مع المؤرخ الفرنسي جان بيار ريبرا(Jean-Pierre Riera) ، ص 12.

[3] [10] أسعد داغر، مذكّراتي على هامش القضية العربية (القاهرة: دار القاهرة للطباعة، 1959)، ص 73.

[4] [11] دراسات وتقارير تاريخية، اللجنة الدولية للصليب الأحمر والهلال الأحمر وحماية أسرى الحرب(ICRC History) ، المرجع السابق، ص 122.

والمراقب بالرشاشات، أفرز ظاهرة نفسية خطيرة وموثقة في دراسات الصليب الأحمر عُرفت باصطلاح "مرض السلك الشائك[1]

"تفاقمت هذه الظاهرة السيكولوجية بشكل خاص لدى الأسرى والمجندين العرب بسبب السياسات العنصرية والتمييز الإثني والديني الممارس ضدهم من قبل إدارات المعسكرات الاستعمارية، والتي كانت تضعهم في مراتب أدنى من الأسرى ذوي الأصول الأوروبية، وتحرمهم من مراسلة ذويهم أو ممارسة شعائرهم الدينية بكرامة[2].

هذا الضغط النفسي المنظم والمتواصل دمّر المعنويات والقدرات الذهنية للمحررين، وقاد مئات الشباب العرب نحو حالات مستعصية من الذهان، والاكتئاب السوداوي الحاد، وفقدان تام لإدراك الزمن والهوية الفردية، بل ودفع بنسب غير قليلة منهم نحو الإقدام على الانتحار أو السقوط في براثن الجنون الكامل، نتيجة لعدم قدرتهم السيكولوجية على تحمل الذل والهوان والشعور بالتبديد في صراع استعماري لا يعنيهم في شيء[3].

ثالثا: صدمة العودة:

عقب إعلان الهزائم الكبرى والبدء اللوجستي في تسيير خطوط العودة، تدفقت قوافل الأسرى والمجندين العرب المفرج عنهم راجعة إلى مجتمعاتها الأصلية في مصر، وبلاد الشام، وفلسطين، وأقطار المغرب العربي، غير أن هذه العودة لم تكن نهاية للمأساة بل كانت بداية لصدمة ارتدادية جماعية أخرى لا تقل قسوة ومرارة عما عايشوه في جبهات القتال وزنازين الاحتجاز.[4] فقد اصطدمت هذه الفئات المنهكة والمريضة بواقع ديموغرافي واقتصادي واجتماعي أسود ومحطم للأوطان والقرى التي تركوها وراءهم؛ حيث لم يجد العائدون

[1] [12] مدرّبل مصطفى الأمين، "الجنود المغاربة في الحرب العالمية الأولى 1914–1918"، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية(ASJP) ، المرجع السابق، ص 70.

[22] [13] لطيفة محمد سالم، مصر في الحرب العالمية الأولى، المرجع السابق، ص 104.

[3] [14] مجموعة مؤلفين، مئة عام على الحرب العالمية الأولى: مقاربات عربية، المجلد الثاني، المرجع السابق، ص 168.

[4] [15] كتاب جماعي، الحرب العالمية الأولى وأثرها في فلسطين: إرث مئة عام، المرجع السابق، ص 99.

عائلاتهم وبيوتهم في انتظارهم بالصورة الطبيعية، بل وجدوا مجتمعات محلية قد نخرها الفقر الشديد، وقمعتها السلطات العسكرية، وأبادت بنيتها السكّانية الكوارث والمجاعات[1].

ففي حواضر بلاد الشام وفلسطين وجبل لبنان، عاد الجنود والأسرى المحررون ليصطدموا بفاجعة "مجاعة جبل لبنان الكبرى" والسياسات التعسفية لقادة الجيش العثماني الرابع؛ حيث تبين للعائدين أن عائلات وأسر بأكملها قد فنيت وماتت جوعاً وعراءً على قارعة الطرقات وبجانب السكك الحديدية، بعد أن حصد الجوع الحصار وباء التيفوس والكوليرا ما يقرب من نصف سكان جبل لبنان وأعداد هائلة من سكان دمشق وبيروت والقدس وحلب بين عامي 1915 و1918[2].

هذا التلاقي العنيف بين الصدمات النفسية الفردية للمحررين والصدمة الجماعية الباحثة عن البقاء للأهالي أحدث شرخاً عميقاً لا يُمحى في الذاكرة الجماعية العربية، وبرزت إشكالية اندماج اجتماعي واقتصادي بالغة التعقيد؛ حيث وجد هؤلاء العائدون أنفسهم معطوبين جسدياً ونفسياً، بلا مأوى يستقبلهم، وبلا مصادر رزق أو أراض زراعية صالحة للاستثمار بعد أن دمرت الحرب البنية التحتية، وفي مواجهة سلطات استعمارية جديدة فرضت انتدابها وقوانينها الجائرة على الأرض والمجتمع[3].

[1] [16] مقال وبحث تاريخي، "مجاعة جبل لبنان الكبرى وأثرها الديمغرافي والنفسي والاجتماعي في الذاكرة الجماعية) "مستند ومترجم بناءً على الأبحاث الأكاديمية والمستندات التاريخية للمؤرخ والباحث فرانشيسكو ميديتشي(F. Medici ، ص 34.

[2] [17] أسعد داغر، مذكّراتي على هامش القضية العربية، المرجع السابق، ص 79.

[3] [18] زيان رقية، "موقف الأمة العربية من الحرب العالمية الأولى (1914–1918م)"، المرجع السابق، ص 115.

المبحث الثاني: الخسائر البشرية في الأوطان العربية خلال الحرب

أولا: ضحايا جيوش الوفاق

شهدت جبهات القتال استنزافاً ديموغرافياً هائلاً وموثقاً في صفوف الجنود والعمال العرب الذين جُندوا قسراً أو طوعاً ضمن جيوش معسكر الوفاق، وتحديداً لخدمة المصالح العسكرية والإستراتيجية لبريطانيا وفرنسا.[1]ففي مصر، حشدت القوات البريطانية ما يزيد عن 1,200,000 (مليون ومئتي ألف) مصري في "فيلق العمال" و"فيلق نقل الجمال" لخدمة خطوط الحلفاء اللوجستية في جبهات سيناء، وفلسطين، وفرنسا، وغاليبولي.[2] وتؤكد المؤرخة لطيفة محمد سالم أن الخسائر البشرية المباشرة في صفوف هؤلاء الفلاحين والعمال تجاوزت 50,000 (خمسين ألف) قتيل ماتوا جراء القصف المستمر، وظروف العمل الشاقة، والأمراض المعدية وبرد الشتاء، فضلاً عن إصابة وتعطّب ما يزيد عن 100,000 (مئة ألف) جريح ومعطوب عادوا بعاهات دائمة طمست قدرتهم على الكسب البدني وأثرت سلباً على التركيبة العمالية للريف المصري[3].

أما في جبهة المغرب العربي، فقد زجت فرنسا بنحو 40,000 (أربعين ألف) جندي مغاربي (من الجزائر وتونس والمغرب) في خطوط الدفاع الصدمية الأولى بالمعارك الأوروبية الكبرى كمعركة "فيردان" و"السوم" لتعويض النزيف الحاد في فيالقها.[4] وتشير التقارير والأبحاث الأكاديمية (مثل دراسات مصطفى الأمين والأرشيفات الفرنسية وحوارات المؤرخ جان بيار ريبرا) إلى أن نسبة الخسائر في صفوف الفيالق المغاربية بلغت 26%، مما يعني سقوط ما يقارب 11,000 (أحد عشر ألف) قتيل ومفقود تحت وابل النيران، ناهيك عن

[1] مجموعة مؤلفين، مئة عام على الحرب العالمية الأولى: مقاربات عربية، المجلد الثاني: مجتمعات البلدان العربية: الأحوال والتحولات (الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2016)، ص 248

[2] لطيفة محمد سالم، مصر في الحرب العالمية الأولى (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1984)، ص 132.

[3] المرجع نفسه [لطيفة محمد سالم، مصر في الحرب العالمية الأولى]، ص 142.

[4] مدرّبل مصطفى الأمين، "الجنود المغاربة في الحرب العالمية الأولى 1914–1918"، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية - بوابة المجلات العلمية الجزائرية ASJP (جامعة المسيلة، 2020)، ص 81.

إصابة وتشويه آلاف آخرين عادوا بأطراف مبتورة وتسمم رئوي حاد جراء الغازات السامة.[1] وفي فلسطين، تسببت معارك جيوش الوفاق العسكرية المباشرة في سقوط آلاف الضحايا وتشريد العائلات، مما أحدث تبدلات ديموغرافية واجتماعية عميقة طالت البنية السكانية للمدن الفلسطينية طيلة العقود التي تلت الحرب[2].

ثانيا : ضحايا جيوش الوسط

على الجانب الآخر من الصراع الكوني، تكبد الإنسان العربي خسائر بشرية مروعة في جبهات معسكر الوسط (التحالف الذي قادته ألمانيا والإمبراطورية النمساوية المجرية والدولة العثمانية). فقد أُقحم المجندون العرب في خطط عسكرية إستراتيجية وضعتها قيادات ألمانية وعثمانية مشتركة خاضت معارك طاحنة ضد الروس في الشرق والبريطانيين في الجنوب.[3]وتشير السجلات التاريخية إلى أن قتلى المعارك العسكرية المباشرة من الجنود العرب في فيالق معسكر الوسط قد تجاوزت حاجز 150,000 (مئة وخمسين ألف) قتيل ومفقود قضوا في وهاد الجبهات المختلفة[4].

ولم تكن نيران الأسلحة الحديثة هي السلاح الوحيد الفتاك ضد هؤلاء الجنود؛ بل إن الغالبية العظمى من مجندي معسكر الوسط العرب قضوا في الصحاري البعيدة وفي قمم جبال القوقاز المتجمدة نتيجة البرد الشديد والتجمد، وفشل التخطيط اللوجستي المشترك، وانقطاع الإمدادات الطبية والتموينية الأساسية عن خطوط القتال الأمامية المظلمة.[5] هذا الهلاك الجماعي أدى إلى تفريغ قرى وحواضر كاملة في الشام والعراق من فئة الشباب، وخلّف

[1] حوار ومقال نقدي، "الجنود المغاربة خاضوا كل المعارك الكبرى للحرب العالمية الأولى"، حوار منشور مع المؤرخ جان بيار ريبيرا-Jean) (Pierre Riera، وكالة الأنباء الفرنسيةAFP ، ص 3.

[2] كتاب جماعي، الحرب العالمية الأولى وأثرها في فلسطين: إرث مئة عام (الدوحة: مركز الجزيرة للدراسات، 2016)، ص 115.

[3] زيان رقية، "موقف الأمة العربية من الحرب العالمية الأولى (1914–1918م)"، المرجع السابق، ص 125.

[4] كتاب جماعي، الحرب العالمية الأولى وأثرها في فلسطين: إرث مئة عام، المرجع السابق، ص 112.

[5] بحث ومقال تاريخي، "موتى العرب في الحرب العالمية الأولى وصدمة الاستنزاف الديموغرافي"، موقع التاريخ السوري المعاصر، ، ص 17.

وراءه خللاً ديموغرافياً مخيفاً تجسد في انخفاض حاد في معدلات النمو السكاني العام واختلال توازن الجنسين داخل المجتمعات المحلية بعد الحرب[1].

ثالثا : ضحايا الدولة العثمانية

انعكست القرارات العسكرية والسياسية الجائرة لولاة الدولة العثمانية ورجالات "جمعية الاتحاد والترقي" (وعلى رأسهم جمال باشا السفاح) بشكل مباشر ومأساوي على الرعايا العرب، سواء كانوا جنوداً أو مدنيين عزل.[2] فبموجب قانون "السفربرلك" (النفير العام)، انتُزع الشباب العرب قسراً من حقولهم وعائلاتهم ليدفنوا أحياءً في معارك عقيمة مثل معركة ترعة السويس[3].

أما المأساة الأكبر التي تسببت فيها الإدارة العثمانية فكانت المحرقة الديموغرافية الصامتة للمدنيين في المشرق العربي نتيجة الحصار والمصادرات الغذائية الممنهجة.[4] وتأتي "مجاعة جبل لبنان الكبرى" كشاهد تاريخي دامٍ؛ حيث تشير الأبحاث الأكاديمية (مثل دراسات المؤرخ فرانشيسكو ميدييتشي) إلى وفاة ما يقارب 100,000 (مئة ألف) شخص ماتوا جوعاً في جبل لبنان وحده، وهو ما يعادل نصف سكان الجبل آنذاك بسبب مصادرة العثمانيين للأقوات والمواشي لصالح الجيش الرابع وغزو الجراد. وفي حواضر دمشق، وبيروت، والقدس، وحلب، وبغداد، حصد الجوع والأوبئة (كالسل، والتيفوس، والإنفلونزا الإسبانية) التي تسببت فيها ظروف الحرب العثمانية أرواح ما يقارب 300,000 إلى 400,000 (ثلاثمئة إلى أربعمئة ألف) مواطن مدني عربي بين عامي 1915 و1918. [5]وبمقارنة المعطيات السكانية لما قبل الحرب بالحصيلة الختامية، يتبين أن أقاليم عثمانية عربية كاملة

[1] دراسات أكاديمية مرجعية، "المشرق العربي 1516–1914 والمظاهر السكّانية عشية الحرب الكبرى"، منشورات قسم التاريخ (جامعة الجلفة، 2018)، ص 198.
[2] مجموعة مؤلفين، مئة عام على الحرب العالمية الأولى: مقاربات عربية، المجلد الثاني، المرجع السابق، ص 278.
[3] عبد الله دبوس، "يوميات ضابط بيروتي في الحرب العالمية الأولى"، دراسات في التاريخ والآثار (بيروت، طبعة منشورة)، ص 44.
[4] كتاب جماعي، الحرب العالمية الأولى وأثرها في فلسطين: إرث مئة عام، المرجع السابق، ص 118
[5]بحث ومقال تاريخي، "موتى العرب في الحرب العالمية الأولى وصدمة الاستنزاف الديموغرافي"، موقع التاريخ السوري المعاصر، المرجع السابق، ص 19.

خسرت ما يتراوح بين 30% إلى 40% من تعدادها السكاني العام، مما أدى إلى تدمير النسيج الأسري وبروز ظاهرة التيتّم الجماعي[1].

رابعا: المعطوبون والمشوهون بعد الحرب

عقب إعلان الهدنة الشاملة عام 1918 وتسيير خطوط العودة، تدفقت قوافل الجنود والأسرى المحررين إلى أوطانهم، لكنهم لم يعودوا كطاقات بشرية قادرة على إعادة إعمار بلدانهم، بل عادوا كأجساد معطوبة ومحطمة.[2] فقد امتلأت المدن والأرياف العربية بآلاف المعطوبين والمشوهين الذين بترت أطرافهم (الأيدي والأرجل) في المستشفيات الميدانية جراء جروح الغرغرينا وإصابات الشظايا، أو الذين أصيبوا بالعمى الصادم والتلف الرئوي المزمن نتيجة استنشاق الغازات السامة في الجبهات الاستعمارية الأوروبية[3].

شكلت هذه الأعداد الهائلة من المعطوبين والمشوهين، والتي تُقدر بعشرات الآلاف في عموم الوطن العربي، عبئاً اجتماعياً واقتصادياً ثقيلاً طويل المدى؛ نظراً لافتقار المجتمعات المحلية المنهكة لأي مؤسسات رعاية أو صناديق تعويضات، وتنصّل السلطات الانتدابية البريطانية والفرنسية من مسؤولياتها القانونية تجاههم. وتحول هؤلاء الضحايا المشوهون داخل الحواضر العربية إلى شواهد حية ويومية على وحشية الاستغلال الإمبراطوري، مما ساهم بشكل تراكمي في شحن النفوس وتوليد وعي وطني وسياسي غاضب، تُرجم مباشرة بعد سنوات قليلة في اندلاع الثورات الشعبية والانتفاضات المسلحة العارمة المطالبة بالاستقلال والسيادة الوطنية في كل من مصر (ثورة 1919)، والعراق (ثورة العشرين)، وثورات الشام والمغرب العربي[4].

[1] دراسات أكاديمية مرجعية، "المشرق العربي 1516–1914 والمظاهر السكّانية عشية الحرب الكبرى"، جامعة الجلفة، المرجع السابق، ص 195.

[2] زيان رقية، "موقف الأمة العربية من الحرب العالمية الأولى (1914–1918م)"، المرجع السابق، ص 128.

[3] مدرّبل مصطفى الأمين، "الجنود المغاربة في الحرب العالمية الأولى 1914–1918"، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية(ASJP) ، المرجع السابق، ص 85.

[4] لطيفة محمد سالم، مصر في الحرب العالمية الأولى، المرجع السابق، ص 154

المبحث الثالث: دور الأسرى العرب في بناء الفكر التحرري

أولا : الجماعي الوعي

إن أولى ركائز الفكر التحرري التي صاغها الأسرى العرب تمثلت في قدرتهم على نقل تجربة الألم الفيزيولوجي والنفسي من حيزها الفردي الضيق داخل المعتقلات إلى فضاء الوعي الجمعي الشامل لمجتمعاتهم.[1] فخلال سنوات الاعتقال الطويلة في معسكرات نائية، تجرع آلاف الجنود العرب شتى ألوان الحرمان والاضطهاد الممنهج[2].

ويظهر هذا التحول الفكري جلياً في تجربة الأسرى المغاربيين (الجزائريين والتونسيين والمغاربة) الذين احتُجزوا في معسكري "فينسدورف (Wünsdorf) "و"زوسن " (Zossen)في ألمانيا؛ حيث تحولت معاناتهم خلف الأسلاك الشائكة من مجرد أسر عسكري تقليدي إلى تجربة وعي سياسي مبكر ومكتمل.[3] إن احتكاك هؤلاء الأسرى المغاربيين بالدعاية الألمانية الموجهة وبالمحيط الثقافي والسياسي الأوروبي، جعلهم أكثر إدراكاً للتناقضات الصارخة في الخطاب الاستعماري الفرنسي الذي ساقهم بدعوى "الدفاع عن الحرية" بينما يحرمهم منها في بلدانهم[4].

ولم تكن العودة إلى الأوطان مجرد نهاية للمأساة، بل كانت بداية لتشكل وعي مقاوم جديد؛ فالروايات الشفوية والقصص التي نقلها هؤلاء الأسرى العائدون داخل القرى، والمقاهي، والمساجد حول سوء المعاملة والمجاعة والقهر لم تعد مجرد حكايات شخصية،

---

[1] مجموعة مؤلفين، مئة عام على الحرب العالمية الأولى: مقاربات عربية، المجلد الثاني: مجتمعات البلدان العربية: الأحوال والتحولات (الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2016)، ص 318

[2] زيان رقية، "موقف الأمة العربية من الحرب العالمية الأولى (1914–1918م)" (مذكرة ماستر، قسم التاريخ، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، 2025)، ص 143

[3] Gerhard Höpp, Muslime in der Mark: Als Kriegsgefangene und Internierte in Wünsdorf und Zossen, 1914-1922 (Berlin: Verlag Das Arabische Buch, 1997), p. 58.]

[4] مدرّبل مصطفى الأمين، "الجنود المغاربة في الحرب العالمية الأولى 1914–1918 ومساهمتهم في الفكر التحرري الباكر"، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية - بوابة المجلات العلمية الجزائرية ASJP (جامعة المسيلة، 2020)، ص 95.

بل تحولت إلى أداة تعبئة اجتماعية وسياسية كبرى ضد الوجود الاستعماري، مما أسهم في ربط الألم الفردي بالتحول الجماعي للأمة وبناء ذاكرة سياسية مشتركة[1].

ثانيا :التنظيم والثورات

لم ينحصر دور الأسرى العرب في التوعية الفكرية والوجدانية فحسب، بل امتد ليشمل عقلنة ومأسسة المقاومة، ناقلين معهم من وراء البحار آليات تقنية وتنظيمية صارمة غيرت مجرى العمل الثوري ضد الاستعمار.[2] فداخل معسكرات الاحتجاز، أُجبر الأسرى على التعايش مع نظم إدارية معقدة، وتعلّموا لغة الخصم، وفهموا نقاط قوته وضعفه اللوجستية، كما نجحوا في تشكيل "لجان سرية" داخل العنابر لإدارة شؤونهم وتأمين تواصلهم مع المنظمات الدولية[3].

هذه الخبرة الميدانية والتنظيمية نُقلت بحذافيرها بعد الحرب إلى داخل بنية الحركات الوطنية؛ ويبرز هنا مثال الجنود والعمال العائدين من التجنيد والأسر البريطاني في مصر، والذين شكلوا العصب الميداني الفاعل لثورة 1919. إن الأدبيات التاريخية تؤكد أن هؤلاء العائدين لم يكونوا مجرد ضحايا سلبيين للحرب، بل نقلوا خبراتهم العسكرية والتنظيمية التي اكتسبوها أثناء الاحتكاك بالبنية الاستعمارية وتوظيفها في إدارة التعبئة الشعبية المنظمة، وتنظيم أشكال متطورة من المقاومة الميدانية كقطع خطوط السكك الحديدية وتخريب شبكات اتصالات جيش الاحتلال الإنجليزي[4]. وفي المغرب العربي والشام، ساهم الجنود العائدون الذين خبروا الفنون العسكرية الحديثة في تحويل المقاومة الشعبية من تمردات عشائرية عفوية تفتقر

[1] دراسات أكاديمية مرجعية، "المشرق العربي 1516–1914 والتحولات الفكرية والسياسية بعد الحرب الكبرى"، منشورات قسم التاريخ (جامعة الجلفة، 2018)، ص 218.
[2] لطيفة محمد سالم، مصر في الحرب العالمية الأولى (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1984)، ص 292.
[3] المرجع نفسه [لطيفة محمد سالم، مصر في الحرب العالمية الأولى]، ص 294.
[4] المرجع نفسه ص 296-297

للتخطيط إلى حركات تحررية منظمة ذات أطر تكتيكية وهياكل حزبية صلبة قادرة على مجابهة الجيوش الاستعمارية بندية تامة[1].

ثالثا: الخطاب التحرري

غدا الأسرى العرب المحررون الشواهد الحية والمصادر الإنسانية الموثوقة التي استمد منها الخطاب التحرري المعاصر شرعيته الأخلاقية والتاريخية في مواجهة الادعاءات الكولونيالية.[2] وقبل الحرب الكبرى، كانت القوى الإمبراطورية تسوق لمشاريعها الاستعمارية تحت شعارات براقة مثل "تمدين الشعوب النامية"؛ إلا أن تضحيات مئات الآلاف من الأسرى والعمال العرب فضح زيف هذه الادعاءات تماماً[3].

وفي هذا السياق، يبرز الأمير خالد في الجزائر كأحد أهم الرموز الوطنية التي استثمرت بذكاء سياسي ما خلفته تجربة الحرب العالمية الأولى من نقمة اجتماعية وسياسية عارمة لدى المجندين والأسرى العائدين وعائلاتهم.[4] لقد اتخذ الأمير خالد من تضحيات هؤلاء الجنود في الجبهات ومعاناتهم في المعتقلات منطلقاً لخطابه التحرري، موجهاً به صفعة قوية للادعاءات الفرنسية، ومطالباً بالحقوق السياسية والمساواة التامة والتمثيل النيابي للجزائريين[5].

هذا النموذج يوضح بدقة كيف انتقل أثر الحرب المباشر من مستوى المعاناة الإنسانية الصامتة إلى مستوى المطالبة السياسية المنظمة، حيث اتخذت النخب الفكرية والسياسية (كالوفد المصري والنخب الإصلاحية في الشام وتونس) من ملف الأسرى والمجندين ورقة ضغط أساسية صاغت بناءً عليها خطاباتها الوطنية لتؤكد للرأي العام الدولي والمحلي: "أن

[1] مقال وبحث أكاديمي، "مجاعة جبل لبنان الكبرى وتأثيرها الديمغرافي والنفسي والاجتماعي في نتاج نخب المهجر والداخل وعلاقتها بملفات الأسرى) "مستند بناءً على الأبحاث التاريخية للمؤرخ والباحث فرانشيسكو ميديتش ص 55

[2] د. أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، الجزء الثاني (1900-1930) (الجزائر: دار البصائر، 2007)، ص 215.

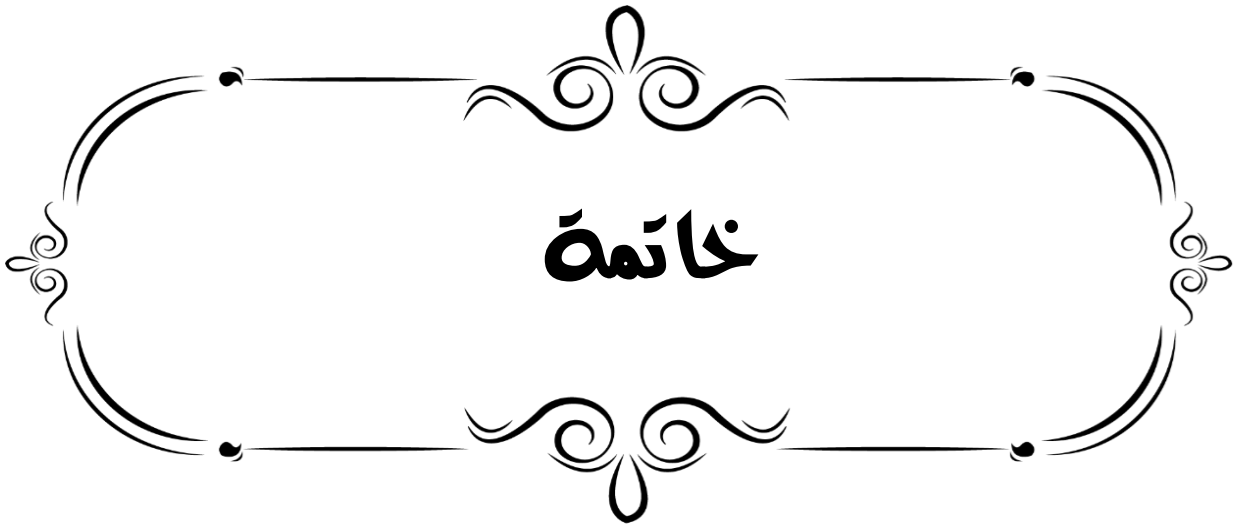
[3] كتاب جماعي، الحرب العالمية الأولى وأثرها في فلسطين: إرث مئة عام، مرجع سابق، ص 152.

[4] د. عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962 (الجزائر: دار الغرب الإسلامي، 1997)، ص 188.

[5] المرجع نفسه [د. عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962]، ص 190

أمة دفعت هذه الضريبة البشرية الفادحة من دماء أبنائها وأسراهم لا يمكن أن تقبل بالوصاية أو الانتداب"، وبذلك تضافرت الذاكرة الحربية مع النضال السياسي لتهيئة الأرضية الفكرية والسياسية التي قادت الأوطان العربية نحو معارك الاستقلال والحرية[1].

[1] مجموعة مؤلفين، مئة عام على الحرب العالمية الأولى: مقاربات عربية، المجلد الثاني، المرجع السابق، ص 332.



خاتمة

شكلت الحرب العالمية الأولى منعطفاً تاريخياً حاسماً أعاد صياغة الخارطة الجيوسياسية للعالم، وتركت آثاراً عميقة امتدت لتغير البنى الاجتماعية والفكرية في الأوطان العربية. ومن خلال تتبع هذه الدراسة لفئة الجنود والأسرى العرب، يتضح أن مساهمة هؤلاء المجندين في المجهود العسكري الكوني كانت مساهمة واسعة النطاق وفرضتها ظروف القهر الكولونيالي والتبعية السياسية؛ إذ سِيق مئات الآلاف من شبان المشرق والمغارب قسراً إلى جبهات القتال المستعرة. فبينما تحركت آلة التجنيد العثمانية في المشرق تحت غطاء "السفربرلك"، فرضت القوى الحليفة كفرنسا وبريطانيا قوانين التجنيد الإجباري التعسفي على أبناء الجزائر، وتونس، والمغرب، ومصر. وقد زُج بهؤلاء الجنود في الخطوط الأمامية لأعنف المعارك الأوروبية والآسيوية مثل معارك المرن، والسموم، وجبهة الغاليبولي، حيث أظهروا كفاءة قتالية استثنائية وقدرة عالية على الصمود، مما جعلهم رقماً صعباً في المعادلات الميدانية للقوى الإمبراطورية المتصارعة التي استنزفت طاقتهم البشرية في حرب لا ناقة لهم فيها ولا جمل.

وقد أفرزت تلك المواجهات الدامية واقعاً إنسانياً مريراً تمثل في سقوط آلاف المقاتلين العرب في غياهب الأسر خلف الأسلاك الشائكة، حيث توزعت مسارات نقلهم بين معسكرات اعتقال دولية متباعدة جغرافياً، تركز أبرزها في عمق الأراضي الألمانية مثل معسكري "زوسن" و"فينسدورف"، إلى جانب المعتقلات البريطانية في مصر والمشرق والهند. وجرى التعامل مع هؤلاء الأسرى وفق استراتيجيتين متناقضتين؛ الأولى مادية قاسية تمثلت في إخضاعهم لظروف معيشية وصحية بالغة السوء، حيث عانوا من المجاعة الممنهجة، ونقص الأغطية والملابس، والعمل الشاق في أجواء مناخية باردة، مما أدى إلى تفشي الأوبئة الفتاكة كالتيفوس والإنفلونزا الإسبانية التي حصدت أرواح الكثيرين منهم في صمت. أما الاستراتيجية الثانية فكانت نفسية وسياسية، تمثلت في سياسة "البروباغندا" والدعاية الموجهة، وتحديداً من قِبل السلطات الألمانية التي حاولت استغلال البعد الديني والسياسي وعواطف الأسرى نحو الخلاص والانعتاق، عبر تقديم معاملة تفضيلية وبناء مساجد داخل المعسكرات،

بهدف استمالتهم وضمان انقلاب ولائهم ضد القوى الاستعمارية التقليدية، ليعيش الأسير العربي يومياته ممزقاً بين ألم الواقع المعيشي القاتم وأمل الحرية والعودة.

ولم تكن نهاية الحرب وتوقيع الهدنة عام 1918 مجرد إسدال للستار على المعاناة، بل مثلت بداية لإنبات الوعي التحرري، حيث حملت عودة الأسرى والمجندين إلى أوطانهم انعكاسات استراتيجية تجاوزت الفاتورة الديموغرافية والإعاقات الجسدية والصدمات النفسية العميقة لتصل إلى تبلور عقلية سياسية جديدة. لقد أحدثت تجربة الاحتجاز والاحتكاك المباشر بالبيئة الأوروبية صدمة فكرية عكسية لدى الأسير العربي، أسفرت عن تحطيم أسطورة "الرجل الأبيض الذي لا يُقهر" بعدما عاين الأسرى بوضوح مظاهر الضعف والانكسار النفسي والبدني لسجانيهم وصناع القرار في أوروبا. هذا التحول النفسي صهر المعاناة الفردية داخل المعتقلات وحولها إلى وعي جمعي مشترك؛ إذ تحولت شهادات الأسرى المحررين ورواياتهم الشفوية المنقولة في المقاهي، والمساجد، والقرى إلى أدوات تعبئة اجتماعية بالغة الأثر، فضحت زيف الادعاءات الكولونيالية التي طالما تذرعت بـــ "تمدين الشعوب النامية."

وفي المحصلة النهائية، نجحت الحركات الوطنية والنخب الفكرية الناشئة في استثمار هذا المخزون النضالي وتضحيات الحرب لمأسسة المقاومة والانتقال بها من طور التمردات العشائرية العفوية إلى العمل السياسي الحزبي والمنظم في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الأولى. وتجلى هذا الأثر في أرقى صوره السياسية من خلال تجربة الأمير خالد في الجزائر، الذي اتخذ من نقمة المجندين وعذابات الأسرى منطلقاً لصياغة خطاب تحرري صلب يطالب بالمساواة والتمثيل النيابي والحقوق السياسية، مفنداً المزاعم الفرنسية ومحرجاً للممارسات الكولونيالية في المحافل الدولية. وبالمثل، تُرجمت هذه الخبرات الميدانية والتنظيمية في المشرق العربي من خلال الانخراط الفعال للعمال والجنود العائدين من التجنيد والمعتقلات البريطانية في قيادة وتوجيه وإدارة العمل الثوري ميدانياً خلال ثورة

1919 في مصر. وبذلك، يثبت البحث أن فئة الأسرى والمجندين العرب لم تكن مجرد ضحية سلبية للآلة العسكرية الكونية، بل شكلت رافداً حياً أساسياً، ولبنة محورية أسهمت بشكل جوهري في بناء وتشكيل الفكر التحرري العربي المعاصر ودفعه نحو مجابهة الاستعمار بندية تامة.



قَائمةَ المصادر و المراجع

أولا: الكتب

أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، الجزء الثاني 1900–1930، الجزائر: دار البصائر، 2007.

أحمد زكريا الشلق، تاريخ العرب الحديث من الفتح العثماني حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، القاهرة: المكتب المصري للمطبوعات، 2014.

أسعد داغر، مذكّراتي على هامش القضية العربية، القاهرة: دار القاهرة للطباعة، 1959.

أسعد داغر، مذكراتي على هامش القضية العربية، تحقيق خالد زيادة، بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2020.

أمين الريحاني، ملوك العرب: رحلة في البلاد العربية، القاهرة: مؤسسة هنداوي، 2021.

أمين الريحاني، ملوك العرب: رحلة في البلاد العربية، بيروت: دار الجيل، طبعات متعددة.

جورج أنطونيوس، يقظة العرب: تاريخ حركة العرب القومية، ترجمة ناصر الدين الأسد وإحسان عباس، بيروت: دار العلم للملايين، الطبعة الثامنة، 1987.

ديفيد فرومكين، سلام ما بعده سلام: انهيار الدولة العثمانية وصنع الشرق الأوسط الحديث، ترجمة طه الهلالي، بيروت: دار الساقي، 1992.

ديفيد فرومكين، سلام لإنهاء كل سلام: انهيار الدولة العثمانية وصنع الشرق الأوسط الحديث، ترجمة طه الهلالي، بيروت: دار الساقي، 1994.

ساطع الحصري، البلاد العربية والدولة العثمانية، بيروت: دار العلم للملايين، 1960.

شون ماكميكين، نهاية الدولة العثمانية: الحرب والثورة وصنع الشرق الأوسط الحديث، نيويورك: بينغوين بريس، 2015.

عبد الرحمن الرافعي، العرب والحرب العالمية الأولى، القاهرة: دار المعارف، 1980.

عبد العزيز سليمان نوار ومحمود محمد جمال الدين، التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، القاهرة: دار الفكر العربي، 1999.

عبد العزيز سليمان نوار ومحمود محمد جمال الدين، التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، القاهرة: دار الفكر العربي، 2002.

عبد العزيز نوار، الحرب العالمية الأولى: تاريخ سياسي وعسكري، القاهرة: دار الفكر العربي، 1974.

عبد الفتاح أبو علية وإسماعيل أحمد ياغي، تاريخ أوربا الحديث والمعاصر، المدينة المنورة: دار الزمان، 1997.

عبد الفتاح أبو علية وإسماعيل أحمد ياغي، تاريخ أوربا الحديث والمعاصر، المدينة المنورة: دار الزمان للنشر والتوزيع، 2023.

عبد الله دبوس، مذكرات عبد الله دبوس: يوميات ضابط بيروتي في الحرب العالمية الأولى، تحقيق محمد السعيدي، بيروت: دار المطبوعات الشرقية، 2011.

عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، الجزائر: دار الغرب الإسلامي، 1997.

عمر الديراوي، الحرب العالمية الأولى، بيروت: دار العلم للملايين، طبعات متعددة.

عمر عبد العزيز عمر، تاريخ أوربا الحديث والمعاصر، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1999.

لطيفة محمد سالم، مصر في الحرب العالمية الأولى، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1984.

لطيفة محمد سالم، مصر في الحرب العالمية الأولى، القاهرة: دار الشروق، 2015.

محمد بركات، معارك الحرب العالمية الأولى: مذابح الرجال وحرائق الأموال، القاهرة: دار الكتاب العربي، 2007.

محمد حرب، الشرق الأوسط والقرن العشرون، بيروت: دار الطليعة للنشر، 1995.

محمد عزة دروزة، تاريخ الجنس العربي في مختلف الأدوار والأطوار والأقطار، الجزء السادس، بيروت: المكتبة العصرية، 1962.

محمد عزة دروزة، حول الحركة العربية الحديثة: تاريخ ومذكرات، صيدا: المكتبة العصرية، 1950.

محمد عزة دروزة، حول الحركة العربية الحديثة: مذكرات وتأملات، الجزء الأول، صيدا: المكتبة العصرية، 1950.

محمد عزة دروزة، نشأة الحركة العربية الحديثة، بيروت: دار النهضة العربية، 1971.

محمد عزة دروزة، نشأة الحركة العربية الحديثة، بيروت: دار الكلمة، 1982.

محمود شاكر، تاريخ العرب الحديث من الفتح العثماني حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، القاهرة: مكتبة العبيكان، 2014.

هشام البطل، الحرب العالمية الأولى، عمان: دار الأيام للنشر، 2018.

وليام ميلر، الدولة العثمانية والشرق الأدنى، ترجمة عبد الله عاصي، بيروت: منشورات المكتبة العصرية، 1971.

يوجين روغان، سقوط العثمانيين: الحرب العظمى في الشرق الأوسط، ترجمة خالد زيادة، الدوحة: المركز العربي، 2016.

ثانيا: الكتب الجماعية والمجلدات

مجموعة مؤلفين، الحرب العالمية الأولى وأثرها في فلسطين: إرث مئة عام، الدوحة: مركز الجزيرة للدراسات، 2016.

مجموعة مؤلفين، مئة عام على الحرب العالمية الأولى: مقاربات عربية، المجلد الأول: الأسباب والسياقات والتداعيات، الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2016.

مجموعة مؤلفين، مئة عام على الحرب العالمية الأولى: مقاربات عربية، المجلد الثاني: مجتمعات البلدان العربية: الأحوال والتحولات، الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2016.

مجموعة مؤلفين، مئة عام على الحرب العالمية الأولى: مقاربات عربية، المجلد الثاني: مجتمعات الحرب والتحولات الهيكلية، الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2016.

مجموعة مؤلفين، مئة عام على الحرب الكبرى 1914–1920: السلام متى ربيعه؟، جبيل: المركز الدولي لعلوم الإنسان، اليونسكو، 2015.

علي شعيب، "مصالح إيطاليا ودورها في الحرب العالمية الأولى"، ضمن: مجموعة مؤلفين، مئة عام على الحرب العالمية الأولى، المجلد الأول.

محمد الأرناؤوط، "الخلفية البلقانية لاندلاع الحرب العالمية الأولى"، ضمن: مجموعة مؤلفين، مئة عام على الحرب العالمية الأولى، المجلد الأول.

ثالثا : الرسائل والمذكرات الجامعية

"الأوضاع السياسية في أوروبا وآثار الحرب العالمية الأولى"، مذكرة ماستر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2015.

"العرب والحرب العالمية الأولى"، رسالة جامعية مستقلة، جامعة المسيلة.

"الوضع السياسي للوطن العربي قبيل الحرب العالمية الأولى"، محاضرات في مادة وطن عربي حديث ومعاصر، منشورات جامعة محمد الخامس.

رسالة "حماية أسرى الحرب بين الشريعة الإسلامية والقانون الدولي"، أطروحة أكاديمية.

رسالة جامعية، "المشرق العربي 1516–1914"، أرشيف جامعة الجلفة الرقمي، 2018.

زيان رقية، "موقف الأمة العربية من الحرب العالمية الأولى 1914–1918م"، مذكرة ماستر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، 2025.

مبروك أبو طاهر، "حماية أسرى الحرب: دراسة مقارنة بين الفقه الإسلامي والقانون الدولي الإنساني"، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر 3، 2014.

مزدلفة بركات، "آثار الحرب العالمية الأولى على أوروبا والوطن العربي"، مذكرة ماستر، كلية العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2016

رابعا: المقالات العلمية والمجلات الأكاديمية

أمينة بن قادة، "الجنود المغاربة في الحرب العالمية الأولى 1914–1918"، مجلة أكاديمية للبحوث الاجتماعية والإنسانيةASJP ، المجلد 11، العدد 1، 2019.

"العرب والحرب العالمية الأولى"، مجلة أُسطور للدراسات التاريخية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، العدد 4، يوليو 2016.

"المؤتمر العربي الأول في باريس 1913 وجذور المطالب القومية"، مجلة أسطور للدراسات التاريخية، العدد 12، يوليو 2020.

بحث ومقال أكاديمي، "مجاعة جبل لبنان الكبرى وتأثيرها الديمغرافي والنفسي والاجتماعي في نتاج نخب المهجر والداخل وعلاقتها بملفات الأسرى"، مستند بناءً على الأبحاث التاريخية للمؤرخ فرانشيسكو ميديتشي.

بحث ومقال تاريخي، "موتى العرب في الحرب العالمية الأولى وصدمة الاستنزاف الديموغرافي"، موقع التاريخ السوري المعاصر.

خيرة فراجي، "واقع الأسرى الجزائريين في مراكز الاعتقال الألمانية من خلال الوثائق الأرشيفية"، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطية، المجلد 4، العدد 2، 2018.

مدرّبل مصطفى الأمين، "الجنود المغاربة في الحرب العالمية الأولى 1914–1918"، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، بوابة المجلات العلمية الجزائريةASJP ، جامعة المسيلة، 2020.

مدرّبل مصطفى الأمين، "الجنود المغاربة في الحرب العالمية الأولى 1914–1918 ومساهمتهم في الفكر التحرري الباكر"، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، بوابة المجلات العلمية الجزائريةASJP ، جامعة المسيلة، 2020.

محمد نعمة حسن، "سباق التسلح البحري بين ألمانيا وبريطانيا قبيل الحرب العالمية الأولى"، مجلة المؤرخ العربي، المجلد 17، العدد 17، 2009.

مقال وبحث تاريخي، "مجاعة جبل لبنان الكبرى وأثرها الديمغرافي والنفسي والاجتماعي في الذاكرة الجماعية"، مستند ومترجم بناءً على الأبحاث الأكاديمية والمستندات التاريخية للمؤرخ فرانشيسكو ميدييتشي.

هاشم صالح التكريتي، "التغلغل الألماني في المشرق العربي قبيل الحرب العالمية الأولى"، مجلة المؤرخ العربي، العدد 27.

خامسا: الموسوعات والمواقع الإلكترونية والمواد التعليمية

"التحولات الكبرى في أوروبا 1453–1914"، مادة تعليمية للتاريخ، وزارة التربية والتعليم.

"الثورة العربية الكبرى 1916"، موسوعة الجزيرة، موقع الجزيرة نت، 2026.

"الحرب العالمية الأولى"، موسوعة الهولوكوست.

"الحرب العالمية الأولى: حين تقاتلت ألمانيا وفرنسا حتى آخر مسلم"، بوابات تحليلية وتاريخية.

"الحرب العالمية الأولى.. الأسباب والأطراف والنتائج"، موسوعة الجزيرة، 28 يونيو 2014.

"العلاقات الدولية قبل الحرب العالمية الأولى"، موسوعة أراجيك، قسم السياسة، 20 مارس 2020.

"اليقظة العربية وصراع القوميات في أوروبا"، الموسوعة العربية، دمشق، المجلد 22.

"اليقظة العربية وعوامل النهضة السياسية في المشرق"، الموسوعة العربية، دمشق، المجلد 22.

تاريخ أوروبا السياسي والثقافي بخطوطه العريضة، الرياض: شبكة الألوكة الثقافية، 2011.

مركز الجزيرة للدراسات، "تجنيد العرب في الجيش العثماني: الأساطير والهوية الملتبسة."

وثائق وتاريخ اللجنة الدولية للصليب الأحمرICRC ، تاريخ الوكالة الدولية لأسرى الحرب 1914–1918، البوابة الرقمية الرسمية للجنة.

سادسا: الصحف والإعلام والوثائقيات

"الآثار العربية للحرب العالمية الأولى"، ملف مؤتمر المركز العربي للأبحاث، جريدة السفير، بيروت، ملحق خاص، 2015.

أصوات منسية.. عن الأسرى المغاربيين في ألمانيا إبان الحرب العالمية الأولى، مجلة ألفيرتزAlpheratz ، يناير 2025.

حوار ومقال تاريخي، "الجنود المغاربة خاضوا كل المعارك الكبرى للحرب العالمية الأولى"، حوار مع المؤرخ جان بيار ريبيرا.Jean-Pierre Riera

عبد الرحمن الراشد، "العرب في الحرب العالمية الأولى"، صحيفة الشرق الأوسط، العدد 14230.

عرض مذكرات عبد الله دبوس، صحيفة القدس العربي، الملحق الثقافي، العدد 8412.

مقال "مبادرة تركية لتسليم رسائل أسرى عثمانيين إلى أحفادهم"، وكالة الأناضول للأنباء، 14 نوفمبر 2021.

وثائقي شبكة الجزيرة، موتى العرب في الحرب العالمية الأولى، ضمن سلسلة "الحرب العالمية في عيون العرب"، إنتاج 2014.

سابعا: الوثائق

أرشيف الهلال الأحمر التركي، رسائل الأسرى العثمانيين في الحرب العالمية الأولى، وثائق ومراسلات مترجمة، أنقرة.

دراسات أكاديمية مرجعية، "المشرق العربي 1516–1914 والتحولات الفكرية والسياسية بعد الحرب الكبرى"، منشورات قسم التاريخ، جامعة الجلفة، 2018.

دراسات أكاديمية مرجعية، "المشرق العربي 1516–1914 والمظاهر السكانية عشية الحرب الكبرى"، منشورات قسم التاريخ، جامعة الجلفة، 2018.

دراسات وتقارير تاريخية، اللجنة الدولية للصليب الأحمر والهلال الأحمر وحماية أسرى الحربICRC History ، جنيف: وثائق ومراسلات منشورة.

رسائل أسرى عثمانيين من الهند وبورما، أرشيف الهلال الأحمر التركي، وثائق الأسرى والمراسلات العائلية المترجمة، إسطنبول.

رسالة جندي جزائري أسير، نقلاً عن كتاب ودراسة أكاديمية في تاريخ "حروب الإمبراطوريات والتجنيد القسري في شمال إفريقيا."

سجلات ومضابط البرلمان التركي لعام 1921، نقلاً عن تقارير الهلال الأحمر المعاصرة للأحداث.

شهادة أحمد بن حسين، فلاح مغربي، سجلات التحقيق والملفات الرسمية العسكرية الألمانية، معسكر فونسدورف، برلين، 1916.

مقالات تاريخية عن "ثكنات المعادي ومعسكر سيدي بشر"، مستندة إلى مضابط البرلمان العثماني والتركي لعام 1921.

مقالات تاريخية عن "معسكر الهلال في ألمانيا وفضاءات الأسرى المسلمين"، مجلة التاريخ الإسلامي، برلين، العدد 42، 2020.

مقالات عن الأسرى المغاربيين في ألمانيا، مجلة أكاديمية.ASJP

تاسعا: المراجع الأجنبية

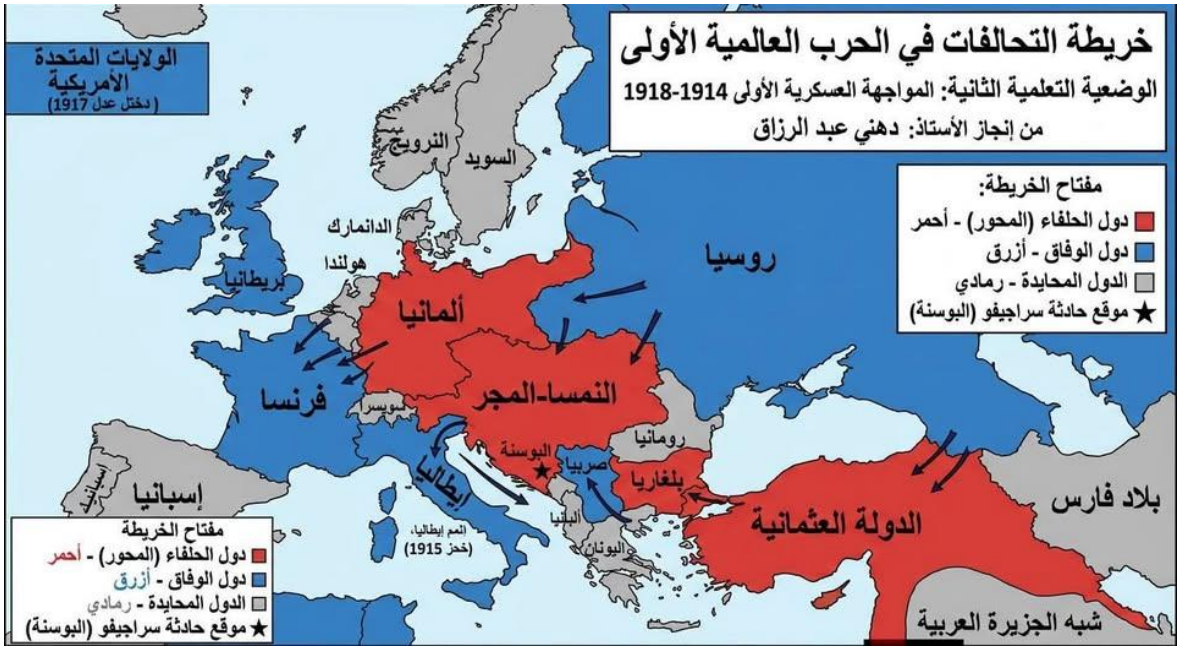
Gerhard Höpp, Muslime in der Mark: Als Kriegsgefangene und Internierte in Wünsdorf und Zossen, 1914–1922, Berlin: Verlag Das Arabische Buch, 1997.

John Keegan, The First World War, London: Hutchinson, 1998.

Hew Strachan, The First World War, Oxford: Oxford University Press, 2003.

الملاحق :

-خريطة التحالفات في الحرب العالمية الأولى :



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People'sDemocraticRepublic of Algeria
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
University Mohamed Boudiaf of M'sila

جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
FACULTY OF HUMANITIES AND SOCIAL SCIENCES

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
نيابة العمادة للدراسات والمسائل المرتبطة بالطلبة
الرقم: /2026

Faculty of Humanities and Social Sciences
Vice-Deanship of the College for Studies and Student Issues

تصريح شرفي خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث

أنا الممضي (ة) أدناه :

السيد(ة): دهوم منصف الياس

الصفة(طالب, أستاذ باحث, باحث دائم): طالب

الحامل لبطاقة التعريف الوطنية رقم: 212030396

الصادرة بتاريخ : 2026/01/05 عن دائرة : المسيلة

المسجل(ة) بكلية: العلوم الإنسانية والاجتماعية قسم: التاريخ

تخصص: التاريخ الوطن العربي العام تحت رقم التسجيل: 35078906

والمكلف بإنجاز أعمال بحث(مذكرة التخرج, مذكرة ماستر' مذكرة ماجستير' أطروحة دكتوراه) .

عنوانها: الأسرى العرب خلال الحرب العالمية الأولى

أصرح بشرفي بأنني التزم بالمعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية والنزاهة الأكاديمية المطلوبة في انجاز البحث المذكور أعلاه

المسيلة في: 2026 ف 31

إمضاء المعني (ة):

المرجع: القرارالوزاري رقم: 933المؤرخ في: 28-07-2016المحدد للقواعد المتعلقة بالوقاية من السرقات العلمية ومكافحتها.

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People'sDemocraticRepublic of Algeria
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
University Mohamed Boudiaf of M'sila
جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
FACULTY OF HUMANITIES AND SOCIAL SCIENCES
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
نيابة العمادة للدراسات والمسائل المرتبطة بالطلبة
Faculty of Humanities and Social Sciences
Vice-Deanship of the College for Studies and Student Issues

وثيقة ايداع مذكرة ماستر

الموضوع:

الأسرى العرب خلال الحرب العالمية الاولى

إعداد الطلبة:

1- دهوم منصف الياس رقم التسجيل: 35078906

2- رقم التسجيل:

القسم: التاريخ **الشعبة:** علوم انسانية **التخصص** التاريخ الوطن العربي المعاصر

إشراف: صالح ليتش **الرتبة:** استاذ

أقر بأنني تابعت العمل المذكور أعلاه في جلسات إشرافية طيلة الموسم الجامعي: 2025-2026 وأسمح بإيداعه على مستوى ادارة القسم للمناقشة والتقييم.

موافقة وإمضاء الاستاذ(ة) المشرف(ة):

رئيس فريق الاختصاص

رئيس القسم

قسم التاريخ

الملخص بالعربية:

تتناول هذه الدراسة موضوع الأسرى العرب خلال الحرب العالمية الأولى بين سنتي 1914 و1918 تنطلق من تحليل الظروف الجيوسياسية التي سبقت اندلاع الحرب، خاصة صراع القوى الكبرى على النفوذ وتوضح كيف أصبح العالم العربي جزءًا من الحرب بسبب السيطرة العثمانية والاستعمار الأوروبي ركزت الدراسة على مشاركة العرب في ميادين القتال ضمن الجيوش العثمانية والفرنسية والبريطانية كما بينت أثر التجنيد القسري في دفع أعداد كبيرة من العرب إلى جبهات لا تخدم مصالحهم الوطنية وتعرضت إلى ظروف وقوع الجنود العرب في الأسر داخل معسكرات متعددة في أوروبا والشر وقد عانى هؤلاء الأسرى من الجوع، المرض، العزلة، القسوة، وضعف الحماية القانونية كما أبرزت الدراسة دور اللجنة الدولية للصليب الأحمر وبعض الوثائق في تتبع أوضاع الأسرى ولم تنظر الدراسة إلى الأسر بوصفه تجربة عسكرية فقط، بل تجربة إنسانية ونفسية عميقة فقد ترك الأسر آثارًا جسدية ونفسية على المحررين بعد عودتهم إلى أوطانهم كما خلفت الحرب خسائر بشرية واجتماعية كبيرة في المجتمعات العربية وتشير الدراسة إلى أن تجربة الأسر ساهمت في تنمية الوعي الوطني لدى عدد من العائدين فقد تحولت المعاناة الفردية إلى ذاكرة جماعية غذت الخطاب التحرري العربي واعتمدت الدراسة على المنهج التاريخي الوصفي والتحليلي لفهم الأحداث ونتائجها وتخلص إلى أن الأسرى العرب مثلوا فئة منسية لكنها مؤثرة في تاريخ الحرب والفكر التحرري

الكلمات المفتاحية: الأسرى العرب، الحرب العالمية الأولى، التجنيد القسري، معسكرات الاعتقال، المعاناة الإنسانية، الفكر التحرري، العالم العربي.

Abstract in English:

This study examines Arab prisoners during the First World War between 1914 and 1918.
It begins by analyzing the geopolitical conditions that preceded the outbreak of the war.
The study shows how the Arab world became involved because of Ottoman rule and European colonial control.
It focuses on Arab participation in the fighting within Ottoman, French, and British forces.
It also explains how forced recruitment pushed many Arabs into battlefields unrelated to their national interests.
The study discusses the capture of Arab soldiers and their transfer to different prison camps.
These prisoners suffered from hunger, disease, isolation, harsh treatment, and weak legal protection.
It also highlights the role of the International Committee of the Red Cross and archival records in tracing prisoners.
The study treats captivity as a human and psychological experience, not only as a military event.
Captivity left deep physical and mental effects on many released prisoners after their return.
The war also caused heavy human and social losses in Arab societies.
The study argues that captivity helped shape political awareness among some returning prisoners.
Their individual suffering became part of a wider collective memory.
This memory later supported Arab anti-colonial and liberation discourse.
The study concludes that Arab prisoners were a neglected but significant group in the history of the war.

Keywords: Arab prisoners, First World War, forced recruitment, prison camps, human suffering, liberation thought, Arab world.